



من الحب تحي من كل رميم

وهل تتجلى الذات فيها لفكرتي

تغيب كل عن جميع الخليفة

وقد هدمت من رسوم الطبيعة

فتسلبني عن كل كلى وجملي

لكي أرتقي العلياء من كل رتبة

غليلي بغوصي فيه في كل لحظة

بباطن قلبي والهدى لي زفت

إلى الله محفوقا بكل كريمة

تمكن سري في بساط الحقيقة

وقد طلعت شمس الوصول بقبلي

إلى ويبقى دائما كل لحظة

فياحبذا أم لا بلوغ لمنيتي

ونيل مرادى أم أموت بحسرتي

وقد نال رضى الله عنه قبل وفاته غاية مناه وظفر بكل ماتمناه وإلا لا يشير قوله

رضى الله عنه من بحر السيط المفروغ في قالب الموالم .

لما خلاصنا نجونا من تناجينا أوحى لنا فوق ما نرجو مناجينا

ومذ جلانا تهلى في بحالينا فمن له محونا حتى يحالينا

حدثني سيدى ومولاي أحمد العبد لاوى نفعى الله به ان سيدنا رضى الله عنه

كان قبل حلوله بهذا المقام يكتب مطالبه من الله تعالى ومن النبي صلى الله عليه وسلم

في صحائف كراريس ويضعها بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ولما حل رضى الله عنه

بمقامه قال له النبي صلى الله عليه وسلم اترك عنك جميع المطالب فترك ذلك رضى الله

عنه امثالاً لأمره الشريف حيث ضمن له بلوغ جميع مقاصده ونيل ما هو أعلى

وأشرف مما لآعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر سوى النبي صلى الله

عليه وسلم وهو المشار له بقوله رضى الله عنه لما خلاصنا الخ

ثم قال لي سيدى ومولاي أحمد العبد لاوى وقد وقفت على كراريس عديدة

فيها من مطالب سيدنا رضى الله عنه من الله تعالى ومن النبي صلى الله عليه وسلم بما لا يقدر قدره إلا الله تعالى المتفضل بما شاء على من شاء مما لا يدخل تحت طور العقول ولا يقدر على تسليمه من الأولياء إلا أكابر الفحول قال ولما اطلع عليها الولي الصالح سيدى العربى بن السايح رحمه الله قال لى لو كانت لى هذا المطالب لجعلتها فى صندوق من حديد وسدته عليها حتى لا يطلع عليها أحد ثم بعد ذلك رددتها إلى المحل الذى أنيت بها منه انتهى

واعلم أن هذه الخصوصية الفاخرة والكرامة الباهرة التى نالها سيدنا رضى الله عنه قد ورثها منه بعض الخاصة من أصحابه رضى الله عنهم بالاذن الخاص لهم فى ذلك باستعمال سر من الأسرار المكتومة ، ومن كان عنده ذلك السر واستعمله فى اليومين المذكورين كان من أهل هذه الكرامة الجليلة وقد منّ على الكريم المتعال والحمد لله على كل حال أن قلقت هذا السر من بعض أهل الخصوصية من أهل هذه الطريقة ووقفت عليه أيضا مرقوما فى بعض الكسنانيش المدخرة عند بعض الجلة من الأصحاب ولذكروه هنا اتحافا للاخوان عسى أن ينفعنى الله وإياهم بهذه الكرامة على عمر الأزمان ورجاء لدعوة صالحة من أخ صالح والأعمال بالنيات وذلك أن تذكر فى اليومين

المذكورين بعد صلاة الصبح وقبل الانصراف عن موضع صلاتك وقبل التكلم مع واحد من الخلق صلاة الفاتح لما أغلق عشر مرات ثم تضع يدك اليمنى على عينيك وتقول إلهى اجعل حبيبى سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم راضيا عني ولا تجمع له ساءلا على وشفعه فىّ وفى كل من يرانى فى هذا اليوم من المسلمين ثم ترفع يدك وتردها وتقرأ الدعاء ثانيا ثم ترفعها وتعيدّها وتقرأ ذلك ثلاثا ثم تقول سبحان الله المحيط بالكل الذى يعلم كاية الكل انتهى والله الموفق

سيدى محمد عبد الله الجيلانى

ومنهم الفقيه العلامة الدراكة الفهامة غواص البحور العرفانية وجامع شتات الفضائل الامتنانية أبو عبد الله سيدى محمد بن عبد الله الجيلانى هذا السيد الفاضل من خاصة أصحاب سيدنا رضى الله عنه الذين كانت لهم المعرفة التامة به قبل تصدّره للإرشاد ولازموه بصدق المودة وصفاء الفؤاد وحضر معه فى بعض المجالس العلمية للأخذ عن بعض خواص شيوخ سيدنا رضى الله عنه فى العلوم الخصوصية وقد تلقى

صاحب الترجمة عن سيدنا رضى الله عنه من الأسرار العرفانية واللطائف الربانية ما يهر العقول الراجحة ، وقد وقفت على رسالة بعثها سيدنا رضى الله عنه جوابا لصاحب الترجمة رحمه الله عما يظهر من نصها وهو بعد البسملة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بحمد الله جل جلاله وعز كبرياؤه وتعالى عزه وتقدس مجده وكرمه يصل الكتاب إلى يد حبيبنا السيد النبيه العلامة الوجيه غواص لجج العلوم وجوال ميادين الفهوم الفطن اللبيب والسמידع الأريب سيدى محمد بن عبد الله الجيلانى نزيل محروسة وهران صانها الله من استيلاء أعداء الإيمان .

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته من كتابه إليكم العبد الفقير إلى الله أحمد ابن محمد التجانى وبعد فالسؤال منا عن أحوالكم أجراها الله على طبق رضاه آمين يليه إنك كتبت إلى تستلنى عن العلوم الباطنه غير العلوم الرسميه فاعلم أن ذلك ما عندى منه لا قليل ولا كثير ومالى إليه من سبيل فإنه متوقف على شروط لم احظ بواحد منها وإنى الآن مازلت على الحالة التى تعهدنى عليها لم انتقل عنها ثم إن العلوم من أى فن كانت إذا عرضت على المحل القابل لها وهو المستعد لتلقيها نفذت فيه نفوذ الماء فى الأشجار العطشانة وانبتت فى المحل من مقتضياتها على قدر استعداد المحل وتوفيقه لشروط تلقيها وإن عرضت العلوم على محل غير مستعد لتلقيها كان عرضها مثل عرض الطعام على الممتلىء به لم يلقى محلا من بطنه فارغا فإن بطنه غير قابل للأكل وإن أكل منه على هذا الحال تضرر به وربما أداه إلى الهلاك وهكذا الحكم فى العطشان حين عرض الماء عليه وإن كان ثم جوع مفرط أو عطش مفرط شديد

النتفع بالأكل والشرب ولم يتضرر بهما ، ثم اعلم أن تهيأ المحل لقبول العلوم له مراتب أعلاها رسوخ الروح فى العلم وهو المعبر عنه بمقام المعرفة بالله الذوقية العيالية المعروفة عند القوم وهى التى يشهد العبد فيها نفسه عين كل شىء وكل شىء عينه بما اتصل أو انفصل إجمالا وتفصيلا والوصول للروح إلى هذا المطلب أصعب من الصعود إلى العرش بلا سلم لغير من انخرقت له العادة الإلهية خالية عن العوائق والعلائق والوصول إلى هذا المطلب لا يتأتى إلا على يدى شيخ كامل برسوخ روحه فى هذا المقام حيا نا ذوقيا .

ووقع له من الله بصريح العبارة نصه : إنا أقبحناك لإدخال العباد إلى حضرتنا

إما جذبا وما سلوكا ولا يفيد الأذن العام مثل قوله تعالى أدع إلى سبيل ربك بالحكمة فإن ذلك في العام للعام ، وهذا في الخاص للخاص فلا بد من خصوص الأذن وإلا فلا سبيل ، ثم من شروطه كون التليذ علم منه هذا قطعا وصار بين يديه على حالة اعتقاد على أنه إن خالفه في مثقال ذرة هلك دنيا وأخرى أو مات كافرا فوضع نفسه بين يديه كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف شاء بغير اختيار، فإن

كنت تطلب هذا فأبحث عليه بفكرك وسعى رجليك على يد شيخ هذا وصفه وهو أغرب وجودا من الكبريت الأحمر مع كون الأرض مملوءة بهم والله ولي التوفيق اه واعلم أن صاحب الترجمة كان سيدنا رضى الله عنه يحبه المحبة التامة لما كان بينهما من الوداد الصحيح والمحبة القديمة وكان صاحب الترجمة يختبر أحوال سيدنا رضى الله عنه حتى علم علما يقينا بفسوخ قدمه في الولاية والأذن الخاص في الإرشاد لسبيل الرشاد فتشبت بأذياله وتعلق به لينقذه من أحواله مع كونه كان من ذوى القدم الراسخ والمجد الشامخ وكان يذب عن سيدنا رضى الله عنه لما تصدر لإعطاء الأوراد ويدافع عنه أصحاب الأهواء والعناد وقد وقفت هلى رسالة بعضنا سيدنا رضى الله عنه في مبادئ أمره إليه لما بلغه خوض المتهورين في بحره وأشاروا بالنقصان إلى على قدره ولمزوه بما فيهم فأرادوا إطفاء نور الله بفيهم كما وقفت على جواب صاحب الترجمة إليه رضى الله عنه وذلك كله يدل على جلالة صاحب الترجمة ورفع مقامه بين الأئمة نذكرهما هنا لمناسبة الموضوع نص الرسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله إلى أخى فى الله وعدنى ومقيل من الردى عثرتى الجامع الأكبر المحقق الأشهر السيد محمد بن عبد الله الجيلانى منع الله روحك فى الهنا وأدام بقاءك وارتقاءك لأحسن الحسنى وحياتك بما حى به أحبائه وأولياؤه الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . أما بعد فإنه بلغنى أن القوم استضعفوني ورموني بما الله أعلم به منهم فوقع فى قلبى شيء وقلت لى نفسى الله الله ما كنت أظن ولا أشك أن تبدى مساوى بمحضرك وتسكت لم تحب هنى بما حضر وخطر وتأتانى فى الجواب وترتقى فيه رقى العلا فليت شعرى هل ضربت عما سلف صفحا أو علمت أن ما قيل فىنا حقاً أو قصرت عن الجواب أو حدثتك نفسك بحديث المفسترين أو طمس الله بصيرتك التى كانت فى العلم نائرة

وفي اليقين باهرة فناشدتك الله أن تخبرني بما قيل وإن كان لم يفت الكلام على المسئلة
 فحرك الساكن واجمع ما جمع الله لك وألقه عليهم واعلم أنهم لو سألوني وقالوا لي من
 أين لك هذا لقلت من عند الله فإن قيل لي أبو حى أو برؤية أو بهاتف لقلت دُفعت
 في ابتداء أمرى إلى الحضرة الربانية دفعة واحدة منذ أنا يافع فصار أولى أخرى
 وأخرى أولى وبعضى كلى وكلى جزئى فكنت أنا هو من حيث أنا لا من حيث
 هو وحيث لو سئلت عن ألف ألف مسئلة من أهم المسائل لأجبت عنها بجواب
 واحد إذ صرت كالمصباح فلو شعلت منى جميع المصابيح ما نقصت من ضوئى شيء
 والله الحمد وهذا السر المكتوم أوله الظاهر آخره إنما وقع لي بمحروسة فاس حين كنا
 نقرأ على الدقاق فى السبع وعلى الشيخ الجمال فى تعليم الاسم وسر الحرف وعلى الشيخ
 السجلاسى فى صغرى السنوسى وكنت ذات يوم وهو يوم الاثنين سألتنى ونحن
 بالجامع تلقاء الاسطوانة التى يجلس إليها الدقاق عن حالى فقلت لي مالى أراك تقلبت
 أحوالك وصرت لا تجالسنا ولا تحسن مذاكرتنا فقلت لك يا أخى الله أعلم بحالى
 فوضعت يدك على قلبى فأحسست له خفقانا بشبه ارتعاد الورقة عند عاصف الرياح
 فقلت لي أتجد لهذا ألما فقلت لك لا فقلت لي هذا شيء ستخشى عواقبه أو ترجى
 مواهبه فى ذلك اليوم وأنا بذلك المكان قبل مجيئك هتف بى هاتف أيا أحمد لقد
 بلغت المنى فاستعدت بالله ، وقرأت ما يسر الله من القرآن ثم سمعت صوتنا وكلاما
 يتوقع من جميع أعضائى ومن كل ناحية ثم نظرت إلى السماء فوق بصرى على اسمى
 مكتوبا فى عالم الملكوت العلوى وبأزائه أيا أحمد قد بلغت المنى لحدث ولا حرج .
 ثم نظرت إلى الارض يمينا وشمالا وخلفا وأماما فكذلك ثم فتح الله بصيرتى فى
 الحال فرأيت بعينى رأسى الرجل الذى لا يحتمل كلامه الكذب فدنا منى وأخذ
 بعضدى الأيمن وأوقفنى ووكزنى بيده اليسرى بين ثدى وقال لي أنت من أمثال
 الصحابة لحدث ولا حرج فوقع فى قلبى ذلك الخفقان وإنه لم يزل إلى الآن ثم وقع
 لي أكثر من هذا حين كنا فى زيارة مولانا عبد السلام بن مشيش بما يطول ذكره
 ثم تحقق لي الأمر لما توطنت وسكنت إلى أهلى فإن كان فى هذا ما يوجب الدرك
 علينا فأقول وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ، وما لهؤلاء القوم
 لا ينظرون بعين الرضى أما أولا ففى أنفسهم أفلا يبصرون وأما ثانيا ففىما ينبنى عليه

من الشرائع ثم الحقائق وهؤلاء عكسوا فانعكسوا وانعكسوا فتعكسوا ، وطلبوا فينكسوا
ونقصوا فانتقصوا ولا يفقهون أن من حفظ حجة على من لم يحفظ ، أو لا يدرون
أن يسر الله في صدق الطلب أو لا يعلنون الله أعلم حيث يجعل رسالته .
هذا وإنى أرجو الله أن يجعل خيره فيما ينتج والجواب منك في أقرب مدة
إن شاء الله .

وكتب خادم الطريقة المحمدية أحمد بن سالم التجاني كان الله له وليا ونصيرا اه
ونص الجواب .

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله . أخانا العارف بالله
ورسوله الجامع في العلم بين فروعه وأصوله الشيخ أحمد بن سالم التجاني عليك
سلام متمزج بالشرق والغرام مرتبط بأسباب المحبة على الدوام بلا انقضاء لحدوده
ولا انقطاع لمدده يهديه من سالت مداومه حتى شجعت فيها وعام وطالت عليه أزمته
الهجر حتى أن أقل لحظاتها ما بين شهر وعام وكيف لا وشمس جمالكم قد توارت عليه
بالحجاب وطلعة كمالك قد سترت بحجاب البين موج فوقه سحاب وبعد فما أعرضه
عن الجواب الداعي إليه ذلك العتاب أنى أجبت بما يليق بذلك الجناب ويبرزه
حجة القوم دون ارتياب . أعلم أخى أنهم اجتمعوا في مائة نحو من عشرين شخصا
وخاضوا فيما خاضوا إلى أن بلغوا إلى قولك لم يكن مثلك من عهد الصحابة إلى هلم
جرا وكنت أنا عبيد الله ساكتا عنهم حتى نجز خوضهم إلى ما يذنبني على ذلك فمنهم
من قال يزندق قائله ، ومنهم من قال كلاما آخر إلى أن تم كلامهم واحدا واحدا
نخاطبني أكثرهم ورؤسائهم عمالي في ذلك فقلت الجواب غدا بهذا المحل وفي الغد

اجتمع الكل وأعادوا كلامهم واجتمع رؤساء العوام وبعض المنأمرين . فقلت
مستمينا بالله ماذا تقولون في علم الغيب هل هو معقول المعنى أو محسوسها أو منقولها
وما كيفية الوصول إليه هل هي ممنوحة أو مكتسبة وما يذنبني على مدعيه قبل الاطلاع
على حاله وهل كرامة الأولياء توجد في كلهم أو في بعضهم وهل يتفاوت ذلك
بحسب الجد والاجتهاد أو بحسب فضل الله على بعض أوليائه ، فسكت الكل ثم
قال أحدهم وما ألجأنا إلى هذا البحث ، فقلت وما ألجأكم إلى الحكم على الشيء قبل
تصوره فقالوا إنا لنريد أن نسمع رأيك فقلت نعم بما كان برهانه من نفسه فلا يحتاج

إلى برهان والمعروف لا يعرف **والعرب بالباب ها أنا وأنتم فقالوا لا تعرض**
لهذا كله وتلاشت وجوههم واشتأزت قلوبهم ، وقام بعضهم ، فقلت ليس هذا مني
أدب البحث ، ولا أنتم من الذين يسألون وإنما هذا من فعل العوام بتحويل العبارة
لجلس من قام ، وتكلم الأمراء معهم فسلخوا الجواب وكفوني أن نحقق لهم أمرك
وما ينبغي على قولك هذا ، فقلت وبالله استعجنت :

أما الشيخ أحمد فإنه أخى فى الطلب كان يراقبني فى أحوالى وأراقبه فى أحواله
عالم بأمور الدين والدنيا ، جامع بين على الشريعة والحقيقة ، له يد طولى فى علم
المعقول والمنقول ، تقى نقى عارف بالله لا تأخذه فى الله لومة لائم ، ولا يحوم حول
الحى ، يشار إليه بالصلاح فى ابتداء أمره ، ذا كرا مجدا عازما مجتهدا ، اجتمع
بمشايخ عظام القدر ، مجازا مأذونا له فى التأليف ، مقتدي به ، والغالب على ظنى أنه
من أهل الكشف .

وقوله هذا لا يوجب شيئا ولا فيه بحث إذ هو كلام محتمل من وجوه ، وما كان
كذلك فالقراءن تقيده .

أولها أنه وإن قال هذا الكلام حقا فيحتمل أنه لم يكن مثله فى معرفة شيء
مخصوص حدثته نفسه به وحملته أنه لا يعرفه غيره من عهد الصحابة إلى هلم ، نعم
لو قال لو لم يكن مثله فى العلم مثلا لكان للبحث وجه من حيث إن العلم لا منتهى له .
وثانيها أنه يحمل على أن يكون قال ذلك زجرا لنفسه وقهرا لها .
ثالثها أنه قال فى حد ذاته لا ليسأل أجرا ولا لزيادة مزية عند الناس بل يكفيه
مامعه من العلم والمعرفة وحاصله ليس فيه خوض ولا معارضة ولا يخفاكم ذلك فغايته
أنه تكلم بكلمة كسائر أولياء الله .

وتعلمون يقيننا أن الشيخ محي الدين بن عربى كلامه مبنى على خرق العوائد
وأنه فى زمانه ادعى الاجتهاد وما سلم له ، وكذا غيره من أكابر الأولياء مع أن
أحمد التجانى لم يتكلم بشيء بخارق يدعى صدقه أو كذبه ، ولا ادعى اجتهادا ، وإن
كان لكم كلام فى المسئلة فأثروا به ونسلم لكم وإن أردتم البحث منى عن أحواله
فزائد عن ما ذكرت ووصفت .

والحاصل أقول لكم والله شهيد ووكيل إني أتمنى على الله بل أطلب منه لى

ولكم أن يجعلنا في حماه وأن يرزقنا رضاه بمنه وكرمه . فعند ذلك قاتري إياهم جاث على ركبتيه مقبلا الأرض بين يدي مستغفرا الله طالبا المسامحة مني .

فأوصيك أخي بجانب العلم فإنه أولى من العمل وبما أنت بصدد ، وقد أوصانا مشايخنا بأمر بعضنا بعضا ونهيه ، والأخ مرآة أخيه ، والوقت كما ترى والأشياء مرهونة لأوقاتها ، والأسباب متوقفة على مسيبتها ، والتروية بحسب النظر ، وهذا هو الجامع المانع ، وقد تشوقت إلى أرض الحجاز وزيارة خير البرية فادع الله لي في تسهيل السبيل ، كما نحن لكم ، وإننا على العهد والوفاء ، ومن نك فإنما ينك على نفسه والسلام وكتب العبد الجاني بالعضو الفاضل محمد بن عبد الله الموفق الجيلاني آمنه الله يوم الفرع الأكبر آمين اهـ

عم محمد بن الغازي

ومنهم ذو الصدر السليم السالك للحق على الصراط القويم البركة الأجل والسيد الأفاضل عم محمد بن الغازي ، أحد العشرة الذين ضمن لهم النبي صلى الله عليه وسلم الفتح الأكبر ، كان رحمه الله من المحبوبين عند سيدنا رضى الله عنه لصفاء مودته وخلوص محبته ، وقد كانت تعتريه بعض أحوال الملامتية المسقرين بكثرة البسط والانشراح بين الإخوان .

ومن مناقبه المشهود له بها أن الله تعالى جعل له البركة في كل ما يناوله من بيوعاته وشراياه وما كولاته ومشروباته وجميع شؤونها كلها ، وكان الإخوان يطلبون منه حضوره في أفراحهم ، فيجدون بركته ، حتى إنهم إذا أرادوا بركة في شيء ولم يكن حاضرا عندهم يقولون اللهم إنا نسألك بالاسم الذي دعاك به عم محمد ابن الغازي اجعل لنا البركة في كذا وكذا فيجدون بركة ذلك .

واتفق له في مبادئ أمره مع سيدنا رضى الله عنه كما حدثني به بعض أحفاده الأخيار أنه بعد ما أخذ الطريقة عن سيدنا رضى الله عنه ترك أياما الحضور لقراءة الوظيفة في الزاوية المباركة في ذلك الوقت بالبيع والشراء ، فانفق له أن كان مارا يوم الجمعة بسوق الصاغة بفاس المحروسة فرآه سيدنا رضى الله عنه مقبلا من طريق الزاوية بعد الفراغ من الذكر فقال في نفسه لاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم تركنا الربح الأخرى وانشغلنا عنه بالربح الدنيوى في البيع والشراء ويأتري عند

هذا الشيخ الذي من الله علينا بالدخول في زمرة هل أنا من المحبوبين أو من المحرومين بسبب هذا الفعل الذي صدر مني ، فلما التقي مع سيدنا رضى الله عنه كاشفه وقاله له كيف بك يا فلان أنت عندنا من أخيار الأحباب ولا تحضر للذكر ما هذا . قال فمن ذلك الوقت لم يترك الحضور مع سيدنا رضى الله عنه إلى أن أذن الله بالفراق المحتوم ولسان حاله يقول :

فلو أعطى الخيار لما افترقنا ولكن لا خيار مع الزمان

وانفق له يوما بعد وفاة سيدنا رضى الله عنه أنه كان جالسا قرب داره بحومة سوق ابن صافي إذ خطر في نفسه في شأن الزيارة ، وأن منعها في هذه الطريقة المحمدية لعله كان خاصا بمدة حياة الشيخ رضى الله عنه . فما أتم هذا الخاطر في نفسه حتى وقف بمنجبه الولي الصالح المجذوب الرابع الشريف سيدى حفيد بن عدوا المتقدم الذكر فقال له بمجرد ما وقف عليه قال لك : هو لا يموت ، ثم انصرف فتذبه صاحب الترجمة لذلك وتاب إلى الله من ذلك الخاطر وعلم أن هذا عناية من الله تداركته ببركة صدق محبته في سيدنا رضى الله عنه .

أقول ولا يزال ذوو الصدق في هذه الطريقة تحصل لهم العناية التامة والحمد لله ، فترام لا يلتفتون لغير الشيخ رضى الله عنه ولو ألقاهم الحال للاجتماع بقطب الوقت في الظاهر فإن قلبهم لا يتزعزع عن شيخهم البتة ، وقد بسطنا الكلام على الزيارة في غير ما موضع من مؤلفات الطريقة ، ولنذكر هنا طرفا يسيرا مما يتعلق بها أيضا مع كلام في التربية بالاصطلاح عند القوم رضى الله عنهم فأقول :

قال الفقيه العلامة سيدى محمد بن المشرى في كتابه الجامع بعد ذكره الطرق من رائية الإمام الشريشى رحمه الله ما نصه :

قلت هذه الآيات مشتملة على جل شروط التليذ مع قدوته نصريحا وضمنا أشار فيها إلى عدم زيارة التليذ لغير شيخه من الأولياء بقوله :

فإن رقيب الإلتفات لغيره يقول لمحجوب السراية لا تسرى

وأشار إلى عدم مخالفته بقوله :

ومن لم يوافق شيخه في اعتقاده يظل من الإنكار في لب الحجر

وأما قوله:

وضعها بهجر الشيخ طفلا فالها خروج بلا فطم على الحجر والحجر
فإنها متضمنة لجل الشروط وهذا الذي كانت عليه طرق المشايخ فيما تقدم إلى أن
انقطعت التربية بالاصطلاح فتوسيت عند عامة من ينتسب إلى الطريق فضلا عن
غيرهم فلما أمر قدوتنا أتباعه ببعضها وهو عدم الزيارة للأولياء وقع الإنكار
عليهم في جميع الأقطار لجهل الناس بما كانت عليه طرق الأوائل كما قدمنا .
ثم قال: سئل وسملتنا رضى الله عنه عن قول القطب سيدى أحمد زروق انقطع
شيخ التربية وعن قول سيدى ابراهيم التازى رضى الله عنه في قصيدته اللامية بقوله
وقد عدم الناس الشيوخ بقطرنا وآخرهم شيخى ومعظم إجلال
وقد قال لى لم يبق شيخ بقربنا وذا منذ أعوام خلون وأحوال

قال الشيخ زروق سألت شيخنا أبا العباس الحضرمى رضى الله عنه فقال لى
انقطعت التربية بالاصطلاح ورجع الأمر كما كان فى الصدر الأول بالإفادة بالهمة
والحال وهذا كان فى سنة أربعة وعشرين من القرن التاسع وأما الآن فما بقى إلا
الإفادة بالهمة والحال لكون الله تعالى سامح النفوس فيما تخوض فيه وغفر لها
ومع هذا يقع لهم الفتح والوصول مع أن الأوائل كانوا لا يسامحون التليذ فى أقل
قليل ولو وقع منه فلتة لطرده إلا أن تدركه هناية إلاميه يعامل بالتوبة غير أهل
هذا الوقت فإنهم يسامحون فى الأمور العظيمة ولم يقع لهم طرد ويقع لهم مع هذا
الفتح والوصول إلى الله جل جلاله فسبحان المتفضل على من شاء مما شاء من عباده
يختص برحمته من يشاء لا يستعمل عما يفعل لا أهلة أسبقت ولا لأجل مانع بل لمحض
الفضل والجود والكرم .

ثم قال مسألة سألت سيدنا رضى الله عنه عن قول صاحب الأبريز حاكيا عن
شيخه قال: لا ينال العبد معرفة الله تعالى حتى يعرف سيد الوجود صلى الله عليه وسلم
ولا يعرف سيد الوجود حتى يعرف شيخه ولا يعرف شيخه حتى يموت الناس فى
نظرة فصل عليهم صلاة الجنائزة ونزع من قلبك التشوف إليهم قلت وفى هذا إشارة
إلى عدم زيارة كل ولى فأجاب رضى الله عنه أن للشيخ شروطا وحدودا وموارد
وله أيضا ثلاثة دوائر بعيدة وقريبة ومتوسطة فإذا أدخل المرید فى دائرة القريبة

يقول له إن مخالفتي بعد اليوم تموت كافرا. نسأل السلامة من المخالفة في القليل والكبير آمين .

ومن الشروط المذكورة بجانبه المنتقدين على الشيخ إلى آخر كلامه. ولنذكر هنا فائدة تشد لها الرجال ذكرها الولي الصالح سيدي العربي بن السائح رضى الله عنه في جوابه لبعض الفضلاء هن أمور تتعلق بهذه الطريقة المحمدية منها طلب جوابه عن

إشكال حصل له تعرفه من نص السائل بعد كلام [وهو أن الشيخ رضى الله عنه قد نهى أحبابه عن زيارة الأولياء أحياء وأمواتا بسيد الوجود صلى الله عليه وسلم كما علمتم

وقد نص القوم على وجوب طلب شيخ التربية ولا يكون إلهيا ، والشيخ نفسه رضى الله عنه نص على ذلك أيضا فإنه قال في ذلك في باب تكلم فيه على المرید الصادق. وشيخ التربية من كتاب ابن المشرى شيخ التربية يحب طلبه من جهة النظر بمنزلة المريض الذى أعضلته العلة وعجز عن الدواء وانعدمت الصحة فى حقه وهذا نص فى وجوب طلبه والتمسك به وقال أيضا بعد ذلك الفتح والوصول من الله فى حضرة المعارف لا يبعثه الله تعالى إلا على يد أصحاب الإذن الخاص ومتى فقد الإذن الخاص بالأولياء لم يوجد من الله فتح ولا وصول وإيس صاحبه إلا التعب .

ثم فسر المراد بأصحاب الإذن الخاص بالأولياء الأحياء فى كل عصر لا الأموات وهذا نص فى أن الشيخ الميت لا يأتى منه وصول وأن التربية تختص بالأحياء . وقد صرح أيضا فى هذا الباب أن الإعراض عن ولي الوقت كالإعراض عن نبي الوقت فحصل السؤال هل يجوز من أصحاب الشيخ رضى الله عنه الذين ليسوا فى عصره كأصحاب هذا الوقت إذا عثروا على شيخ التربية من غير أحباب الشيخ أن يلقوا أنفسهم إليه حيث لم يكن الوصول إلا من الحى لاسيما إن لاحظوا أن الشيخ التجاني رضى الله عنه هو الممد لجميع الأولياء الذين منهم شيخ التربية الذين عثروا عليه فما وصلهم على يديه إنما هو بمد شيخهم التجاني رضى الله عنه وحينئذ فيخصص النهى عن الزيارة بتخصيص صاحب الشيخ الذى كان معاصرا له أما غيره فله أن يتعلق من الأولياء بشيخ التربية لوجوب طلبه كما تقدم . ولا يقنعنى فى الجواب عن هذا الإشكال أن يقال شيخ التربية قد انقطع بالاصطلاح ولم تبق إلا التربية بالهمة والحال لأنه وإن كان من كلام الفاضل سيدي احمد زروق

رضى الله عنه ولكن لا يخفناكم أنه قد حمل على الكثير الغالب على أن السؤال على الغرض والتقدير الجائز فمرجو منكم جوابا شافيا كافيا يكون هو العمدة عندنا في ذلك فقد احتجنا إلى معرفته احتياجا كلياً فإن أبيتم فمرجع الدرك عليكم زادكم الله فتحاً وقرباً والسلام، ونهض المقصود من الجواب بعد كلام طويل.

وأما مسألة الإشكال الذي صورتموه والبحث الذي على التقدير الجائز بنيتونه فما أجدر الفقير أن يتمثل فيها بقول إمام الوسائل، والله ما المسؤول عنها بأعلم من السائل لكن حيث كان إمثال أمر الأكابر من المتعين ووجهه عند المتأمل من الواضح البين فلا علينا أن نجاري حالتكم المبهجة في المذاكرة في هذه المسألة فنقول إسعافاً لرغبتكم واغتناماً لصالح دعوتكم وقضاء لبعض الواجب من حق موالاتكم في الله تعالى وأخوتكم، إن وجه الإشكال في هذه المسألة هو ما تقرر في علوم مجادنتكم الموصلة من أن شيخنا شيخ المشايخ وقطب الأقطاب رضى الله عنه وأرضاه ومتعنا وجميع الأحبة برضاه قد قطع رجاءنا من غيره ومنع تشوقنا إلى ما عند كل أحد من شره وخيره وجعل الالتفات عنه إلى من عداه من أعظم الموانع الصارمة للبريد من حوزة حماه وأكد هذا من كلماته السنية لثابته عنه من الطرق الصحيحة المرضية بما يفيد أن عليه في طريقه مدار التربية وأنه في السلوك والتسليك بها مناط التزكية والترقية، وأطلق رضى الله عنه القول في ذلك بما يفيد شموله لمن يتقيد به هذه وينخرط في سلك أهل ورده سواء حصل التقيد والانخراط قيد حياته أو بعد مماته وهذا معارض بظاهره لما نهض عليه القوم من وجوب طلب شيخ التربية في الطريق وأنه لا يكون إلا حياً عند جمهور هذا الفريق حسبما هو موجود في نهض الشيخ رضى الله عنه في بعض أجوبته لمن سأله عن ذلك وتلقاه منه.

وإن من كلام الشيخ رضى الله عنه في بعض أجوبته لمن سأله عن ذلك وتلقاه منه وإن من كلام الشيخ رضى الله عنه في هذه المسألة ما أملاه رضى الله عنه فيها من القاعدة الموصلة. والمحصلها أن الفتح والوصول إلى حضرة الاختصاص لا يبعثه الله تعالى إلا على أيدي أصحاب الإذن الخاص ثم صرح بأن المراد بهؤلاء السادات الأحياء من الأولياء لا الأموات، ثم أفصح رضى الله عنه في هذا المقام بأن الإعراض عن أولياء الوقت كالإعراض عن الأنبياء في وقتهم عليهم الصلاة والسلام

هذا محصل البحث الذي أبداه السؤال مجيباً على التقدير الجائز أن يقال ولا يخفى على نباهتكم الفاتكة والمعيتكم الرائقة أن القول بأن شيخ التربية الذي يحصل على يده الانتفاع والوصول لا يكون إلا حياً لم يقع عليه الاتفاق وإلا فقد صح الوصول عن جماعة من الأكابر على أيدي الأولياء الأموات من غير منازع في ذلك ولا مكابر وأسانيد أهل الطرق الصحيحة المعتبرة مشتملة من ذلك على ما لا يعد من الشاذ النادر .

وقد قال السيد علي قول صاحب المواقف كان أبو يزيد سقاء في دار جعفر الصادق مانصه بعد كلام ، وأما أبو يزيد فلم يدرك جعفر ارضى الله عنهما بل هو متأخر عنه وإنما كان يستفيض من روحانيته فلذلك اشتهر انتسابه إليه اه كلام السيد ونقله الشيخ أبو زيد سيدي عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي ناظم العمل الشهير في كتابه للذي ألفه في إمام سلسلة سلفه الشيخ سيدي عبد الرحمن المجذوب وترجمه بابتهاج القلوب وقال بعده مانصه على أن كونه سقاء في دار جعفر يصح مع كونه ميتاً .

ثم قال رحمه الله تعالى وانتفاع الحى بالميت وحصول المدد له منه مشير وبسط القول في ذلك في جواب الشيخ أبي المحاسن المذكور في المرأة والله أعلم اه من الكتاب المذكور .

وذكر في هذا الكتاب أيضاً سند الشيخ زروق رضى الله عنه واستبعد فيه أخذ ابن عقبة عن ابن وفا لتأخره عنه بكثير ثم قال إلا أن يكون أخذ بالاستفاضة من روحانيته اه

وذكر في هذا الكتاب أيضاً سند حجة الاسلام الغزالي رضى الله عنه عن الفارمدى عن الكركاني ثم قال مانصه :

وانتساب الكركاني في الباطن إلى جانبين أحدهما الشيخ أبو الحسن الخرقاني وهو عن الشيخ أبي يزيد وولادة الخرقاني بعد وفاة أبي يزيد بزمان فتريقته من روحانيته وكذلك تربية أبي يزيد من روحانية جعفر الصادق رضى الله عن جميعهم انتهى الغرض من الكتاب المذكور . بهذا ومثله من الواضح الأشهر يدل على أن ما تقدم من القول بانحصار الانتفاع للبريد في الحى جاز على الغالب لا على الأغلب الأكثر حتى يكون مقابله من الشذوذ بحيث لا يلتفت إليه ولا يذكر اه ، فقد انخرقت القاعدة وسقطت المعارضة من هذا الوجه وهذه الحيثية بلاريب على أننا

وإن جهرنا على تحكيها حسبما تضمنه السؤال وسجلنا على بنيتها بالأعمال فليس المراد بالشيخ الحى فى التصوص المقررة شيخ التربية المستكمل لشروطها المعبرة بل المراد المرشد فقط .

وقد نصوا على أنه لا فرق فيه بين أن يكون شيخا أو أخا فى الطريق ، حسبما نقله فى الجيش هن ذروق ، وذكره اليوسى فى بعض رسائله ، وصرح به فى ميزاب الرحمة الربانية من غير تردد فى ذلك ، نعم ذكروا أن الدخول مع المرشد على المشيخة أعظم حقوقا وأكد من الدخول معه على الأخوة . وعليه فلا فرق إلا من

هذه الحيثية ، فالمعتبر إذا حصول الإذن من الشيخ الكامل المستوفى لشروط المشيخة سواء بلا واسطة أو بها ولا يشترط اللقاء ولا كون الشيخ حيا إذا صح الإذن عنه

قال الشيخ أبو الحجاج الأقرى معللا لهذه المسألة فيما نقله عنه الشيخ الشعرانى

فى ترجمته من طبقاته لأن صور المعتقدات إذا ظهرت لا تحتاج إلى صور الأشخاص بخلاف صور الأشخاص إذا ظهرت فإنها تحتاج إلى صور المعتقدات ، فإذا حصل الجمع بينهما فذلك كمال حقيقى .

قال الشعرانى رحمه الله تعالى بعد ذكره له مانصه : وفى هذا دليل عظيم لأصحاب الخرقه الأحمدية والرفاعية والبرهانية والقادرية ، ولا عبرة بمن ينكر عليهم ويقول هؤلاء أموات لا ينطقون فإن الاقتداء حقيقة إنما هو بأقوالهم وأفعالهم المنقولة إلينا فافهم اه كلام الشعرانى رضى الله عنه

قلت وهذا الكلام من الشيخ أبى الحجاج الأقرى رضى الله عنه هو فيه ذاتى لا ناقل . بدليل ما ذكره الشيخ خالد البلوى فى تاج المفرق عن حفيد الشيخ المذكور من أنه لبس الخرقه من الشيخ أبى مدين رضى الله عنه وإن اجتماعه به كان على طريق خرق العادة بالأرض البيضاء من السودان ، وللأرض السر ، تذكر الله الله ، ولم يكن اجتماعه به على الهيئة المألوفة فى اجتماع الأشخاص الجارية على قول من يشترط اللقاء والحياة فى المرشد فافهم ذلك .

نعم يشترط فى المرشد إذا كان أخا حصول الإذن الصحيح له ولو بالوسائط والشيخ ، إذ بالآذن تمكن سر اية السر الروحانى والمدد الربانى حسبما نص عليه أئمة الطريق رضى الله عنهم .

وعلى هذا الذى تقرر فمن اخذ طريق شيخ كامل عن نقلها إليه وأجازه بها بالإذن الصحيح فإنه ليس معارضا عن أولياء وقته ، لأن ذلك المقدم درجة في الولاية بها تأهل للتقديم بلاشك . وفي هذا القدر ما يندفع به ما تعطيه ظواهر النصوص المتقدمة في هذه المسألة من المعارضة وتوهمه يبادى الرأى من المناقضة الغنية والكفاية والله ولى التوفيق والهداية اهـ

وإذا عرفت هذا عرفت أن ما ثبت من كلام الشيخ رضى الله عنه في الكناشين بما تقدم ونحوه مما يقتضى المعارضة المذكورة هو كلام صدر منه رضى الله عنه في بساط التعليم ، فلسانه فيه لسان علم جرى فيه على ما عليه الجمهور ، فهو عام أريد به العموم بقريّة البساط . وأن ما تقدم وبلغ حد التواتر القطعى رضى الله عنه من منع المرید من الالتفات إلى الغير والتشوف إلى السوى في جلب نفع ما ، أو دفع ضرر ، صدر منه رضى الله عنه في بساط التربية الخاصة بطريقه ، فلسانه فيه لسان دلالة وإرشاد جرى فيه على نهج أمثاله اليكمل الأفراد من إخصاض النصيحة للعباد بما أدام إليه من طريق الكشف الصحيح النظر والاجتهاد ومع هذا فإنه ثبت رضى الله عنه أنه ألقى إليه من ذلك على حسب ما برز إليه من الحضرة المحمدية الشريفة عليها الصلاة والسلام . التى تربيته ومدده منها بلا واسطة في حال اليقظة لافى حال المنام . فهو خاص من طريق خاص أريد به الخصوص . وفرق بينه وبين الذى قبله فلامعارضة بينهما عند ذوى النظر الصحيح البتة والله أعلم .

هذا ولولا المقصود في دفع هذه المعارضة إلى ما اقتضاه الحال من مجازاة ألفاظ السؤال لكان الجواب الحق والقول الفصل في هذه المسألة هو أن يقال: إنه يجب أن يعلم أولا أن تصديق الشيخ والإيمان به والانحياش بالمحبة الخالصة إليه والإذعان له بإلقاء عصي المخالفة والمعاندة بين يديه هو سلم السعادة وأساس كل خير ومبنى كل أمر في طريق الإرادة وإن لم يوافق شيخه في اعتقاده ولم يترك مراده لمراده فقد انهار به في نار جهنم القطيعة والعياذ بالله تعالى جرى اعتراضه وانتقاده ومن لم يوافق شيخه في اعتقاده يظل من الإنكار في لب الجمر

وهذا مما لا ينكره إلا جاهل ، ولا يحجده إلا من كان نائيا عن طريق الهدى بمفازات ومراحل .

ثم من المعلوم أنه ثبت عن سيدنا رضى الله عنه أنه أخبر عن نفسه بإخبار من سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ، أنه القطب المكتوم والبرزخ المختوم والخاتم الأكبر والوارث الحقيقي الأشهر ، الحائز لجميع ما للأولياء من السمكالات والأنوار والآثار والأسرار ، مع ما هو متحقق به في سره مما اختص به من العلوم الدنية والمعارف الربانية دون غيره . وقد صرح رضى الله عنه في رساله التحدث بالنعمة ، بأن مقامه في الدار الآخرة لا يصله أحد من الأولياء من عصر الصحابة إلى النسخ في الصور الخ كلامه في الرسالة المذكورة . وقد أثبتنا في جواهر المعاني وكذا في الجامع لما افترق من درر العلوم .

وثبت عنه أيضا رضى الله عنه أن روحه هي الممثلة لجميع أرواح الأقطاب والأولياء منذ إنشاء العالم سواء منهم من تأخر وجوده العياني أو تقدم . وثبت عنه أيضا رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم ضمن له أن من أخذ ورده الشريف ومات عليه ، لا يموت إلا وليا قطعا . وكذا من أحبه فقط ، وأنه صلى الله عليه وسلم قال له : كل من أذنته وأعطى لغيره فكأنه أخذ منك وأنا ضامن لهم . وقال رضى الله عنه بعد أن حكى هذا الكلام عن سيد الوجود صلى الله عليه وسلم وهذا الفضل شامل لمن تلا هذا الورد سواء رآني أو لم يرنى اه . ومعلوم أن من جملة الفضل المشار إليه ضمان الولاية من النبي صلى الله عليه وسلم وصح عنه أيضا رضى الله عنه أنه قال : طابعتنا ينزل على كل طابع ولا ينزل عليه طابع .

وصح عنه أيضا رضى الله عنه أنه قال : طابعتنا محمدى كل من أخذ وردنا ينزل عليه وتحصل الشفاعة له ولوالديه من حينه . ولهذا قال بعد المشاهير من أهل هذه الطريق رضى الله عنه : مراد الأشياخ من تلامذتهم من يحمل سرهم وأما غيره فلا يحصل له إلا التبرك والعجب ممن يصد عن طريق أهلها كلهم مرادون إلى طريق لا يدري هل يكون فيها مرادا أم لا . إلى غير هذا مما ثبت عنه رضى الله عنه من التصريح بعلو مقامه وإنافة قدره وشرف طريقته وسمو منزلة ورده ونخامة أمره . وما كان بهذه المثابة من الأوراد والطرق كيف تطمح إلى غيره بدلا عنه عين اللبيب العاقل ؟ أم كيف تتعلق به دونه همه النية الفاضل ؟ ومن كان بهذه المكانة للقصى

السامية كيف ينسحب في نظر الأريب حكم الموت الذي يقطع به المدد والانتفاع على حقيقته الفردانية وروحانيته النورانية .

وقد حدثني بعض العلماء الأعلام (هو كنسوس) من إخواننا الصادقين البررة الكرام حفظه الله تعالى أن بعض الخاصة (عم محمد بن الغازي) من أصحاب سيدنا رضي الله عنه الذين أخذوا عنه وصحبوه قيد حياته أنه كان يوما جالسا بأزاء داره من محروسة فاس إذ خطر بباله مثل هذا المعنى المتكلم فيه فقال في نفسه لعل المنع من هذه الزيارة كان خاصا بمدة حياة الشيخ رضي الله عنه ، فما أتم ذلك في خاطره حتى وقف عليه رجل من أصحاب الأحوال (سيدي حميد بن عدوا) وكان الشيخ رضي الله عنه قد أشار إلى أنه من أصحاب التصرف . فقال له بمجرد ما وقف عليه قال لك هو لا يموت . ثم انصرف فتنبه ذلك السيد وتاب إلى الله من ذلك الخاطر وعلم أنها عناية من الله تعالى تداركته ببركة صدق محبته في الشيخ رضي الله عنه ، فلم يبق لمن ساقه سائق السعادة إلى الدخول في هذه الطريقة الأحمدية والانخراط في سلك أهل هذه الدائرة المصطفوية وأهله الله بفضله لمشاهدة هذه الخصوصية العظمى إلا إلقاء القياد لاستاذه رضي الله عنه على طريق المحبة والتسليم وسلب الإرادة له ، والتحكيم ويداوم على ذكر هذا الورد الشريف بالمحافظة على شروطه المشروطة والوقوف بغاية الجهد عند حدوده المضبوطة حتى يأذن الله تعالى بالفتح ، إما أن يفاجئ ، ويهجم عليه هجوما ، وإما أن يمن الله عليه بكشف الحجاب بين عيني قلبه وبين روحانية الشيخ رضي الله عنه أو روحانية النبي صلى الله عليه وسلم ، فتكون تربيته بطريق الاستفاضة من أحدهما أو منهما معا .

وما في الكناش من اشتراط استحضار صورة القدوة أو صورة النبي صلى الله عليه وسلم لمن يقدر على ذلك رمز إلى هذه الطريقة وتلييح إلى هذه الدقيقة ، وإما أن يقيض الله تعالى له من شاء من إخوانه يقوم بأعباء التربية يشهده الله سر خصوصيته ويزيل بينه وبينه حجاب بشريته فيسير به إلى الله تعالى في سره وعلايقته والقائمون بأعباء التربية في طريقنا والحمد لله كثيرون لم يخل منهم منذ توفي الشيخ رضي الله عنه زمان ولا قطر . بل ظهر منهم عدد في حياته رضي الله عنه كما لا يخفى ، إلا أنهم لا يتظاهرون بذلك لا يخفى من حكم الوقت فلا يستر عاينهم إلا

من قبض الله له الانتفاع بهم ، وذلك لما خصوا به بركة امتاذهم من حالة الكمال المسماة عند أهل التحقيق من أهل هذا الشأن بالغيرة على الحق وهي كتمان السرار والاسرار ، وهي حالة الاخفاء الأبرار من الملامتية المجهولة مقاماتهم ، لأنهم جارون مع العامة على ما هي العامة عليه من ظواهر الطاءات التي لم تجر العادة في العرف أن يسموا بها من أهل الله تعالى ، وهذا أمر أقامهم الله تعالى فيه ، وفضيلة حلام الله تعالى بها شعروا أو لم يشعروا . وهي غاية الكمال بلا شك ،

قال العارف بالله تعالى الشمراني في رسالته المسماة بموازين الرجال القاصرين وسبب ترك العارفين فتح باب المشيخة والتسليك في هذا الزمان شهودهم كثرة البلايا النازلة على الخلق ليلا ونهارا وعليهم بأن الأمر رجع إلى وراء وقد اشتد الأمر ولا يزداد إلا شدة حتى تكمل الدورة وتقوم القيامة ثم قال إذا علمت هذا علمت أن ترك العارفين فتح هذا الباب في هذا الزمان هو الصواب فلا يفتحه الآن إلا من أعمى الله بصيرته من هؤلاء المدعين للدراتب والمنتازعين عليها انتهى والمراد بتركهم فتح هذا الباب تركهم التظاهر بالمشيخة والانتصاب للتربية بالاصطلاح المعروف الذي كان عليه من بعد الصدر الأول . وهذه الحالة هي حالة القائم بالتربية من أهل طريقتنا ، وهي طريق الحق والصواب والحمد لله .

والتربية بالاصطلاح المذكور هي التي ذكر الشيخ زروق عن أشياخه أنها انقطعت لا التربية الحقيقية التي معناها الارشاد إلى العمل بالكتاب والسنة وتلقين ذكر ونحوه مما يزيح الباطل عن النفس ويقطع العلائق والعوائق عنها بسبب استعانتها على ذلك بهمة الشيخ الملقن لذلك الذكر ، على حسب ما أذن له فيه من حضرة الله تعالى في سره ، أو حضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم يقظة أو مناما .

وانظرذهب الأبريز وتأمل ما أملاه على صاحبه شيخه في هذه المسئلة تقف على عين الحق والصواب فيها ، وتحصل من العلم فيها حالا لا تلتفت معه إلى كلام غيره ان شاء الله . وقد نص على مثل ما نص عليه الشيخ زروق العارف المحقق

اليوسي رحمه الله تعالى وهو مراد سيدنا رضى الله عنه بقوله الثابت عنه من يريد السلوك في هذا الزمان كن يريد أن يذبح نفسه فإن مراده السلوك بالاصطلاح الذي أحدثه من بعد الصدر الأول ، أعني من بعد القرون الثلاثة لا السلوك بمعناه

الحقيقي الذي هو تصفية النفس وتركيتها من طريق التقييد بالمشايع الكاملين ،
والاستناد إلى همم العارفين الواصلين . حاشا أهل الله تعالى من ذلك .

وبهذا يحصل الجواب الكافي والبيان الشافي ان شاء الله تعالى عما جعلتموه
محصل السؤال من قولكم أيديكم الله هل يجوز لأحد من الأصحاب الذين لم يدركوا
عصر الشيخ رضي الله عنه إذا هضر على شيخ تربية من غير الأصحاب أن يلقى نفسه
إليه الخ . كلامكم الذي أكرمتم علينا آخره بأننا إن أيدنا عن الجواب عنه فالدرك
علينا في ذلك وهذا القول منكم حفظ الله جلالته وأبر سيادتكم هو الموجب
للإطباب فيما واجهناكم به في هذا الخطاب .

ومحصل الجواب أنه لا ينبغي لمن أهله الله تعالى بفضله لهذا الشيخ الأعظم
والانحياش إلى جنابه الأنعم أن يستند إلى غيره أو يعتمد على سواه من الأقطاب
لأظاهرا ولأباطنا في سره وأوجهره وذلك لأنه رضي الله عنه من خاصة خاصة
الحضرة المحمدية صلوات الله وسلامه عليه بل لا أقرب منه رضي الله عنه إليها
وأصحابه تلامذة سيد الوجود صلى الله عليه وسلم سواء رأوه أو لم يروه وورده
ورده عليه الصلاة والسلام كما ورد كل ذلك عنه ، فمن التفت إلى غيره حرم
الاغتراف من بحره والصولة بصارم نصره والعياذ بالله تعالى ، فالحذر الحذر في
طلعة الشمس ما يغني عن القمر والله تعالى المسترسل بجاه أحب الخلق إليه صلى الله عليه
وسلم وعلى آله أن يديم علينا وعليكم رضي الله عن هذا الشيخ العظيم وفيضان أنواره
ويجعلنا من الثابتين في مركز عنايته تحت أفلاك عزه وأدواره بمنه وكرمه آمين ،
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم آمين اه وفي هذا كفاية .

ولده السيد المعطى

ومنهم ولده البركة الجليل ذو الخلق الجميل والصدر السليم والفضل العميم عم المعطى
أخذ الطريقة عن سيدنا رضي الله عنه وهو شاب وكان عند سيدنا رضي الله عنه
محبوبا ملحوظا بعين المودة عنده وعند خاصة الأصحاب لمكانة والده عند سيدنا
رضي الله عنه . وحدثني بعض أولاده الأخيار عن والده يحكي له قال : سجن أمير
الوقت قوما من قبيلة الأحلاف مدة لأمر صدر منهم وامتنع من تسريحهم فلما شاع
خبر سيدنا رضي الله عنه ومحبة أمير الوقت له أتت جماعة من قبيلتهم واستجاروا

بياب دار سيدنا رضى الله عنه وعرفوا ثورين لأجل رفع عارهم كما هي عادة القبائل والمظلومين ومن ماثلهم إذا أرادوا الاحتماء من الأعداء وقضاء وطر من الأوطار فلما خرج سيدنا رضى الله عنه من داره لملاقاتهم ورأى تعذيب الثورين بتعرقهم صار يتأسف على ذلك الفعل الفظيع وقال لتلك الجماعة ما حملكم على هذا الفعل الشنيع وهو تعذيب الحيوان بذلك فصاروا يعتذرون لسيدنا رضى الله عنه وقالوا ما قصدنا بذلك إلا الاحترام بجاهك وخفنا منك أن تردنا ولا تأخذ بيدنا عند الأمير فإنه حبس طائفة من قومنا هذه مدة ولم يثبت لهم ذنب يستحقون به ذلك ، فنطلب من الله ثم منك أن تشفع لنا عنده فيهم حتى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده على يدك المباركة ، وصاروا يتملقون بين يديه ، فقال لهم سيدنا رضى الله عنه معتذرا لما أولاه الله من رفع المهمة التى لا ترضى بالتملق للخلق . أما أنا إن أردتم دعاء خير منى فأنا أدعو لكم وإن أردتم منى التوسط لكم عند الأمير أو غيره فليس عندى منه شيء ، فقال له أحدهم وأكبرهم عقلا وأعلاما قدرا ياسيدنا إنما مقصودنا منك دعاء خير ، فقال لهم سيدنا رضى الله عنه : الله يقضى جميع حوائجكم عما قريب ، وأشار عليهم بالذهاب لدار المخزن ويتكلمون فى مطلبهم فإن الله يفرج عنهم . ثم ذهبت تلك الجماعة قاصدين دار المخزن ليتكلموا فى ذلك فبمجرد وصولهم وتكلمهم فى أمر مساجينهم أمر بتسريحهم ولم يحتاجوا إلى عظيم مشقة فى ذلك ببركة سيدنا رضى الله عنه مع أنهم كانوا يستحيلون تسريحهم وما خرجوا من دار المخزن إلا بعد أن خرج معهم المسجونون ثم قصدوا دار سيدنا رضى الله عنه فرحين مسرورين بدعائه الصالح وأخذوا عنه طريقته المحمدية وخرجوا لقبيلتهم على أحسن حال .

فائدة : كان سيدنا رضى الله عنه يقول ثلاثة لا أحضرهم وهى عقد النكاح والصلح بين القبائل والزطاطة ١ ، أما عقد النكاح فلما يدخلون فيه من العوائد المنافية للشرع ، وأما الصلح فإن القبائل إذا كانت بينهم عداوة تكون كل قبيلة منهم كافة عن الأخرى وإذا اصطالحوا تعود كل واحدة منهم تؤذى الأخرى ، وأما الزطاطة فما عندى ما نزلطهم به اهـ

١ ، الزطاطة حراسة المسافرين بأجر لأن الطرق كانت غير مأمونة

ومنهم ذو المناقب الشريفة والرتبة المنيفة والهمة العالية والشيم الغالية والمآثر
الفاخرة والديانة الباهرة عم العباس بن الغازی أحد العشرة المضمون لهم الفتح
الأكبر وقد كان عند سيدنا رضى الله عنه من الخاصة المقربين والمريدين المحبوبين
ويحب جميع أهله وأولاده ، وكثيرا ما كان سيدنا رضى الله عنه يدخل لدار صاحب
الترجمة فيجتمع عليه أهله للزيارة فيضع سيدنا رضى الله عنه طرف سلطانه على
وجهه لئلا يرى أجنبية ، فإذا أكثرن عليه من طلب الدعاء وتقبيل يديه يقول لمن
بركة بركة بمعنى يكفى يكفى يأمرهن بالكف عنه ، وكذلك كان رضى الله عنه يفعل
في عشية الجمعة بالزاوية المباركة إذا كان خارجا منها فإنه يذهب وحده للموضع الذى
كان جعله لمن لئلا يزدحم بباب الزاوية فيحصل بذلك الضرر الدينى من ازدحام
النساء والرجال فى الدخول أو الخروج ، فإذا ذهب لباحيتهن يجعل على وجهه طرف
سلطانه فيزدحم عليه للزيارة فيدعو لمن بصلاح الأحوال دنيا وأخرى ويعظمن
ويذكرهن بحسب الوراثة المحمدية له عليه السلام كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل
ذلك كما هو مقرر فى كتب الحديث ، وكانت لصاحب الترجمة دنيا واسعة وهو الذى
بنى الزاوية التى قرب درب البشارة أعلى زقاق الرواح من مدينة فاس المحروسة وفيها
منفذ لداره وقد بناها من غير علم أولاده وغيرهم حتى فتح بابها ووقف عليها
أحباسا رحمه الله تعالى وهو مدفون بزاوية الولي الصالح سيدى عبد الوارث الكائنة
بزقاق الحبير .

سيدى محمد الشرقى العمرى

ومنهم البركة الأجل الكوكب الأسعد شبيه الحمد المنورة وصاحب الطوية
المطهرة أبو المواهب سيدى محمد الشرقى العمرى ، أخذ عن سيدنا رضى الله عنه
طريقه وشرب كأسه المختوم بمسك الحقيقة واستغرق فى محبته استغراقا كليا حتى
صلى قدره بين أفاضل الإخوان وغيرهم على سواه جلليا ولازال قائما على ساق الجد
فى مرضاة مولاه إلى أن توفى رحمه الله .

ولده سيدى محمد الحفيان

ومنهم ولده المقدم الأستاذ الفاضل والولي الكامل والبحر الزاخر والطود الباهر

ذو المناقب الشهيرة والكرامات الكثيرة أبو عبد الله سيدي محمد بالفتح المدعو
الحفيان أحد المفتوح عليهم في هذه الطريقة المحمدية وقد ترجم له في البغية عند قول
المنية في تعداد من اشتهرت ولايتهم وصلاحيهم من أصحاب سيدنا رضى الله عنه .
والعمرى السيد الحفيان ذى العلم والصلاح والعرفان

سيدي محمد الشرقى العمرى

بما نصه وثانهم هو العلامة الأستاذ المقرئ المشارك الفاضل أبو عبد الله سيدي
محمد بالفتح المدعو الحفيان مال الشيخ الكبير والقطب الشهير سيدي محمد الشرقى
العمرى رحمه الله تعالى ورضى عنه ، رحل من بلده في طلب العلم إلى مراکش فأخذ
القراءات وأحكامها عن ابن عمه الولي الصالح الزاهد الورع الاستاذ المبرز سيدي
محمد بن عبد السلام الشرقى دفين روضة القطب الاكبر سيدي محمد بن سليمان الجزرلى
رضى الله عنه وسمع بها شيئاً من الحديث ثم رحل إلى فاس فأقام بها مدة وقرأها على
غير واحد من مشايخها وفي هذه المدة لقي الشيخ رضى الله عنه وأخذ عنه ورده
وصحبه وانتفع بصحبته نفعا ظاهراً ، وحدثني قدس سره عن سبب اجتماعه بالشيخ
وأخذه عنه فقال كان لى رفيق من الطلبة من أولاد أبي السباع وكان قد أخذ عن
الشيخ رضى الله عنه ورده وانخرط في سلك أهل طريقته ، فكنت إذا وجدته
يذكر أوراده وهو على غاية ما يكون من الخشوع والحضور وغض الطرف
والاستغراق في الذكر أهزأ به كالمداعب له وأقول له أى شىء تصنع وما هذا الشغل
الذى أنت فيه فكان يصبر لى ويستمر على عمله فإذا قضى غرضه من ذلك أقبل
علىّ وذكرنى وتلطف معى فى الوعظ والتنفير عن الاستهزاء بأهل نسبة الله تعالى
وربما ذكر لى الشيخ رضى الله عنه بما يرغبنى فى الأخذ عنه . فلما كان ذات ليلة وقد
فعلت معه مثل ذلك وبالغت فيه التفت إلى بعد ما قضى ذكره وكلبنى فى ذلك
وذكرنى بحمد وبعض تعنيف على وجه النصيحة لى فلم أشعر أن قلت له إن أردت
أن أدخل معك فى هذا الأمر فأرنى كرامة يطمئن بها قلبى لما تقوله فقال لى وهل
أنت فاعل إن رأيت كرامة فقلت نعم إن شاء الله وقد كان مضى من الليل القدر الذى
ينام الناس فيه وتسد أبواب السكك بحيث لا يفتح الموكلون بغلقها إلا لمن عرفوا
أنه من أهل الحوزة مثلاً بعد مشقة تلحقه معهم فى ذلك كما هو معلوم قال فتوافقت

مع الرفيق المذكور على أننا إن قصدنا دار الشيخ رضى الله عنه في ذلك الوقت ولم
يتعذر لنا فتح الأبواب التي بين المدرسة التي نحن نازلون بها وبين داره وهي كثيرة
ولا يتعذر علينا أيضا لقي الشيخ في ذلك الوقت فإن ذلك يكفيني كرامة ولا أرجع
حتى ما أخذ عنه رضى الله عنه فنهض الرفيق بشدة عزم وقال قم بنا ففتحنا المدرسة
وخرجنا قاصدين دار الشيخ رضى الله عنه فكلما أقبلنا على باب درب أوسوق
وجدناه مفتوحا وكذلك حوانيت أهل الأسواق مفتوحة والمصابيح موقودة بها
وأنا لا أشك أن ذلك ليس من عادة أهل البلد وأن ذلك خرق عادة فأخذني من
ذلك رعب عظيم ولم نزل كذلك حتى أقبلنا على باب دار الشيخ رضى الله عنه فإذا
الضوء يظهر لنا بيابها فلما انتهينا إلى الباب استأذن الرفيق فإذا الشيخ رضى الله عنه
جالس كالمتهيم للقيتنا المنتظر لنا فأدينا الواجب من التسليم عليه وجلسنا بين يديه
فرحب بنا وأقبل بكلية علينا ثم طلبت منه التلقين فمن الله تعالى على بمساعدته لي
على أحسن ما ينبغي في الحين ثم رجعنا والأبواب على حالها وكذلك الحوانيت فلما
دخلنا المدرسة سمعنا بعض المؤذنين بالقرويين ممن عادته أن لا يؤذن إلا بعد مضي
ثلث الليل قال صاحب الترجمة قدس الله ثراه وهذا أول خارق انفق لي مع الشيخ
رضى الله عنه ثم شاهدت بعد ذلك ما لا يكاد ينحصر قلت وقد حدثني من ذلك بشيء
كثير وقد أثبت بعضه في هذا التقييد ولا يمكنني استيفاء ترجمته تفصيلا الآن
والله المستعان انتهى

ولأنما لم يبسط في البغية ترجمته لأنه من عائلته وقرابته وبسط الكلام فيه يؤدي
إلى التزكية فتشكك بسط كراماته فيها قصدا للخمول ولتترجم هنا لصاحب البغية
رضى الله عنه استطرادا فأقول :

استطراد بطرف من ترجمة سيدى العربى بن السائح

هو العارف الذى جرت ينابيع المعارف من صدره ، البحر المئلاطمة أمواج
هله وسره الولي الشهير والقُدوة الكبير العارف بالله والِدال عليه في سره ونجواه
أبوالمكارم الشيخ سيدى محمد العربى بن السائح الشرقى العمرى نسبة التجانى مشربا
نفعنا الله ببركاته ومنحنا من عظيم نفعه كان من العلماء العاملين والأولياء الكاملين
والعارفين الواصلين والهادين المهتدين والراشدين المرشدين جعله الله من الذين جمع

فيهم العلوم الدنية واللطائف السنية والكرامات الظاهرة والمناسقب الفاخرة حتى
شهد له بالفتح الأكبر عداه حيث اجتمع فيه من المفاخر ما تفرق فيمن عداه وهو
أحد خلفاء سيدنا رضى الله عنه الذين ربح على يدهم خلق كثير في هذه الطريقة
وفتح بهم كنوز الأسرار والحقيقة وكان رضى الله عنه متبياً بحب هذه الطريقة
الربانية ذات المواهب العرفانية واقد أفصح هن مقامه في قوله :

سكرت ولم يشعر صحابي كلهم
وما بشمول كان سكرى وإنما
فمن يغتبق صرف المدام معتقاً
لذاك تراهم يطربون هنيئاً
ولا عتب أن يمسى الشجى معربداً
فعند هبوب الساريات من الحمى
وأنى يلد الحب دون تهتك
ألا فاسقنى خمرا وكن لى مسعدا
وما أنا بالراضى لنفسى أن يرى
ومالى وقد خصصت منه بما به
فلا أوحش الرحمن ربى من سنا
وما حن ذو وجد إلى أرج اللقا

وكان يكنى عن هذه الطريقة بالشراب والراح ويغرى أصحابه لا كتاب
الراحة بإدارة كؤوسها على الراح ومن ذلك قوله :

واصل شراب خليفة الأجداد
صفراء تسطع في الكؤوس كأنها
وكانها في حسناتها وصفاتها
ما إن بدت في محفل إلا بدا
لا يعترى ندماءها ندم ولا
فكانها أم بهم قد أنجبت
غذتهم در الصفا وسقنهم

واترك مقال أخى هوى وعناد
شمس تبدت في ذرى الأطواد
من عسجد عصرت بأعصر عاد
فيه السرور ينشط بالإسجاد
يشكون من ملل بطول تمادى
لكريم غفل في نقي مهاد
منها لباب محبة ووداد

فتناسقت أخلاقهم وتوافق
تدعى الأناى وذاك رمز ظاهر
أيقاظ فكر ثم تهذيب الحجا
فادأب عليها ما حيت فإنها
واترك رواية معضل فى شأنها

ماراؤهم فى عفة ورشاد
يدريه من يدري من الأيجاد
مع يسر إنفاق بدون نقاد
تجلو متى جلوت صدى الانكاد
واروه المسلسل موصل الإسناد

ولصاحب الترجمة رضى الله عنه نأليف عديدة وتقاييد مقيدة وقصائد تسحر
الألباب بما لودونت وحدها هنا لضاق عنها هذا الكتاب فالتكتف هنا بذكر نبذة
تبركا بكلامه رضى الله عنه فمن ذلك قوله :

الله أكبر لا كبير سواء
هادى العباد إلى سنا عرفانه
ملك الملوك وحكمه فى خلقه
وهو السلام فلم يزل متقدسا
سبحانه القدوس فى حضراته
حقا رداء الكبرياء له فما
وهو الحفيظ لنا وائس يؤوده
وهو اللطيف لما يشاء حقيقة
حسبى العلم بكنهه حالى كافيا
ياحى ياقيوم يا من كذا
أنت الجليل الفرد والصمد الذى
ياربنا ياربنا ياربنا
يارب الذات العلية باسمها
اكشف كروب المسلمين جميعهم
واكب مصر السكيد واردد كيده
وهلى حبيلك من سرى فى ليلة
أزكى الصلاة مع السلام المرتضى
والآل والأصحاب ماداع دعا

جلت محامده وعز ثناءه
لولا التفضل ما اهدوا لسناءه
ماض فلاحكم يرى لسواه
ذاتا ووصفا فى كمال غناه
عن كل ما لا ينبغى لعلاه
أردى المنازع فيه ما أشقاه
فى أرضه حفظ ولا بسماه
من حفه باللفظ منه كفاه
فى كل ما أرجوه أو أخشاه
ناداه مسطر أجاب دعاه
يعطى الذى يدعو كل مناه
ياربنا يارب ياربنا
بمصون سر فيه يا غوثنا
وأغثم منا بنصرك ياهو
فى نحره ويلاه ما أرداه
لعلاك فابتهج العلاء لسراه
ما أشرقت أرض النهى لسناءه
بادى الضراعة فاستجيب دعاه

وله هذه الآيات المتوج أوائلها بحروف اسم الصحابي الجليل سيدنا عمران
ابن حصين الذي ورد فيه أن من عرف اسمه دخل الجنة وهي :

عودتني منك إحسانا وثقت به
مازلت تولى العطا لمن عصاك ولم
رب البرية ياهن لم يزل أبدا
إني دهوتك مضطرا أخا كمد
نفسه عني يامولاي عن عجل
إني سألتك بالمختار أفضل من
بحر المكارم تاج الرسل خاتمهم
نور الهدى من بدا في أصل فطرته
حماء أوسع بي إن أزمة دهمت
صل عليه إلهي كل آوة
يارب وارض عن الصحاب أفضل من . بذكرهم ظل باب الفتح مقروعا
ناهيك من سادة حازوا الكمال بمنه . ساد الخلائق تابعا ومتبوعا
ومن نظمه في التحذير من مخالطة المنكرين على أهل الله .

ألا لاتركن أبدا لقال
وحاذر أن ترى مادمت حيا
ولا تأمنهم والزم جفاهم
فان السم يسرى من عيون
وكم سلب الإرادة من مرید
فقد حبال وصلهم جهارا
فان الله آذنهم بحرب
وقال في مدح النبي صلى الله عليه وسلم

إليك رسول الله ياملجأ العاني
فلا تسلبنا اللوائب واشفعن
فأنت لنا نعم الشفيع وما لنا
لجانا حيارى من هموم وأخزان
لنا عند رب واسع الفضل منان
سواك ولي نرتجيه لذا الشأن

عليك صلاة الله ما لجأ الوري
وآلك طرا والصحاب وكل من
إليك ففازوا باقتراب ورضوان
فلاهم إلى يوم الجزاء بإحسان

وقال في مدحه صلى الله عليه وسلم خمسا القصيدة المسماة بأبيات الأمان في مدح
سيد بنى عدنان المنسوبة للعارف بالله القطب الشهير أبي عبد الله الإمام الخروبي
الطرا بلسي الذي قال في حقه سيدنا رضى الله عنه الخروبي الطرا بلسي كان قطبا وسأل
النبي صلى الله عليه وسلم الشفاعة في أهل عصره فقال له صلى الله عليه وسلم سبقك بها
ولدى محمد يعنى محمد بن عبد الله الشريف دفين وزان اه ونصها في التخميس وهو:

لئن أملت بهذا العبد كربة وأرقت له ما يلقاه غربة

فأنت مأوى الغريب أنت أسرته ياسيدا جعلت في الأرض تربته

مع أن رتبته من أعظم الرتب

أوفى الخلائق أنت أنت أجودهم وأنت أنت لدى الإله أحدهم

فمن بقربك فاز فهو أسعدهم ليأمن الناس إذ فيهم محمدهم

من كل خسف ومكروه من النوب

قد أفصح الذكر تحقيقا بآمنهم وذاك كون الرسول بين أظهرهم

فهو المرجى لديهم عند نكبتهم وإن أصابهم مكر ألم بهم

لاذوا به فنجوا من سائر الكرب

يا فوز من صار قصده له شغلا حتى توطن في جواره نزلا

هناك لا يشتكى جورا ولا عدلا أكرم بتربته بين الأنام علا

لأنها جمعت أعضاء خير نبي

تاج العوالم بل مصباح نورهم أمن الخلائق بل حياة كونهم

قطب النبيين بل يعسوب سرهم محمد سيد السادات كلهم

الطيب الطاهر الأعراق والنسب

من قد سما للعلا فوق كل سما فقال من ربه الأسرار والحكما

فأى قدر يضاهى قدره عظما روحى الفداء لقبر حل فيه وما

مقدار روحى فتفدى أشرف الرتب

إني إذا نابني خطب له ضرعت أولو النهى وقواهم له انصدعت
 ناديت فأنجلت الأحزان وانقشعت يا أكرم الخلق مسكين قد انقطعت
 أسبابه من سوى عليك فاستجب

لولاك ما كانت الأسرار سارية ولا سقى الغيث أرجاء وأندية
 ولا استجاب لنا الإله أدعية يا أعظم الخلق عند الله منزلة
 يا ابن الكرام العظام السادة النجب

كم فاز ذو أمل بنجح مطلبه كنت المؤمل في حصول مرغبه
 وكم غي أغتته ومنتبه بك استجرنا فنعم المستجار به
 وحق ربى من استعطاك لم يخب

ولم تزل كرما للحق ترشدنا وفي الشدائد والكروب تتجدنا
 وإن سألناك بالمطلوب تسعدنا فأنت ذو الجود والإكرام سيدنا
 وأنت أنت ملاذ العجم والعرب

ياخير هاد دعا فأوضح السبلا وخير من قام للأله مبتهلا
 ومن به كل حسن فى الورى كملا منى عليك الصلاة والسلام على
 مر الليالى مع الأيام والحقب

وكان كثيرا ما يوصى بأن ينشد على لسانه فى زيارة سيدنا رضى الله عنه :
 وجهت ذلى لكم شفيعا وجئتكم سامعا مطيعا
 يا سادتى فارحموا خضوعى بفضلكم واجبروا الصديعا
 وأتى يوما لزيارة سيدنا رضى الله عنه فأنشأ يقول فى طريقه :

يممت خيرك يا ابن سالم الرضى من بعد أروى فى نوالك أرغب
 إن الكريم إذا ألم بيسابه ضيف يعجل بالقرى ويرحب
 ولما وضع رجله بباب الزاوية المباركة للدخول أنشأ يقول :

أتيت إلى باسكم فزعا وليس لغيركم من فزع
 فنوا بدفع الذى أشتكى ليسكن قلبى من ذا الجزع
 فأنتم أتم أهل الوفا وحاشا لديكم يخيب الطمع
 وقد رسمت هذه الأبيات الثلاثة فى وجه الجدار المرصع بالتزليج المرونى

المحاذي للباب القديم خارج الزاوية المباركة بتاريخ أواخر عام ١٣٢٤ بعد ماتم بناء
المزارعة الميمونة ونقش أيضا فوق التزييج الدائر خارج البابين في الجبص المذهب
قول شيخنا العلامة الرئيس سيدي الحاج عبد الكريم بنيس وقد ضمنه التاريخ
بالعجز الأخير .

يا قاصد الحتم من باب كملتزم
ما خاب من جاء يرجو في مطالبه
احطط رحالك في رحاب ساحته
واخضع له وتأدب في زيارته
وكن على ثقة إذا حلت به
هذا المقام بفاس يامؤرخه
وقد كان استعمل أبياتا لترسم هناك محبنا أديب الزمان وفريد العصر والأوان
الشاعر المطبوع ذو المقالات العجيبة والاختراعات الانشائية الغريبة سيدي الحاج
محمد بوعشرين بطلب المعلم الذي صنعها لكنها لم ترسم هناك وهي هذه
يا صائلا بتوج التيجان
فرد الوري ليث الشرى على الذرى
وادع الإله بوقفه في بابه
فيه أبو العشرين قال مؤرخا
ولصاحب هذه الأبيات المؤننة قصيدة عجيبة الصنع مرونة الوضع بقول فيها
بعد التخلص لمدح سيدنا رضى الله عنه :

أبو العباس أحمد نور فاس
جواد جوده أجرى بعزم
همام الأولياء إمام علم
إذا عد الورى أقطاب دهر
وإن ذكر المناط بكشف غيب
دعا لبيادة المولى وذكر
إلى أن طاف في شرق وغرب
ملاذ الطالبين بكل آن
جواد المدح من مرخى العنان
سموح الصالحين أمان جان
إليه يشار في عقد البنان
فضه يقال فيه بترجان
فلي قولة قاص ودان
مناد صيته بعلا مكان

نبوا من دماء مقام صدق فباء به الى غرف الجنان
 فساحة قبره سادت بفيض من البركات لا يعزى لشان
 وزاوية له بين الزوايا حكمت حرم الصفا بعظيم شأن
 كان إقامة الصلوات فيها وقوف للحجيج بلا توان
 أكان الذكر فيها حين يبدو ملائكة تسبح باللسان
 كان سواربا أوقفن فيها جوارقن مع أدب التمدان
 كان مصابحا فيها أضاءت نجوم سما أصيغت من جمان
 كان مثال صحن في ذراها جداول وفق أسرار المباني
 كان أنا بيا صبت بدماء بها عينان منها تجريان
 كان مكانة الأبواب منها كهوف شاهقات للأمان
 كان مزارع يسديع نقش حقود نحور حور في الغواني
 بها قد قمت في خطب أنادي لحامى الجمار ملجأ كل عان
 أبا العباس غوثا ثم عطفنا لجارك بالبليدة في المغاني
 لقد قهرته أيدي الدهر طلما وقد طعنت كطعنات السنان
 فصل مولاك في إذهاب ما بي فإنك خير موف للنهان
 واسأله بجاهك برأ داني وإتحاف يا حراز الأمان
 عليك من الرحيم دوام وهل من الرحمت ما قيل الأغاني
 وأختم بالصلاة كذا سلام على طه المحيعل بالأذان
 وآل ثم أصحاب وحزب مدى قول ابن عشرين اليان

ولذا ذكر هنا من رسائل صاحب الترجمة قدس سره رسالة لطيفة أجاب بها
 بعض الفضلاء من أصحابه عن عجز البيت الأخير الجارى مجرى المثل من البيتين
 المتقدمين في ترجمة قائمهما الولي الصالح والنور الواضح أبى عبد الله سيدى محمد
 العربى بردلة رضى الله عنه بعثها من مكناسة الزيتون الأخ الصادق والخليل الموافق
 الأديب الأواحد والمكاتب الأجل سيدى محمد الغالى السنتيسى حفظه الله ورعاه
 وأخصب في ربوع المعارف مرعاه ونصها مع اختصار يسير لأجل الارتباط إياض
 وجد في المنتسخ منه وهو :

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا محمد رسول الله وآله الأكرمين وصحبه الطيبين بعد السلام التمام وتلاميذه عليك أيها الأخ الصادق الأديب السابق قد ذكرت لنا أنه جرى في مذاكرة بعض السادة الجلة الساركنين سفساف الأمور ترك الظبي ظله ذكر قولهم في المثل إن الهموم بقدر الهمم يفتح بعض من حضر إلى أنه لا يحسن التمثيل به عند أهل المعرفة الكاملة ولا يعتبر ، وكأنه وفقنا الله وإياه رأى أن السكامل لا هم له لسكال تفويضه واستسلامه وفنائه عن مراداته لمراد الحق وأحكامه وهو وإن كان كذلك وفوق ذلك فإنه يحسن منه التمثيل به أكثر من غيره ممن لم يخض تلك المسالك كما يتضح لك بالتقرير والله المستعان وإياه أستقدر واستخير غير خاف أن الأمثال الشعرية وما جرى مجراها منها ما يكون في البيت برمتها ومنها ما يكون في مصراعه ومنها ما يكون في أقل من ذلك وهذا مصراع بيت من البيتين الشهيرين :

وقائله لم عرتك الهموم وأمرك عمتك في الأهم
فقلت ذريني على حالي فإن الهموم بقدر الهمم
كما أنه غير خاف أن الهموم جمع هم وهو أحد الخواطر الخمسة الشهيرة ذكرا وترنيا وأحكاما فلا تطيل بها والهم القصد والعزم ومنه قوله :

هممت ولم أفعل وكيدت وليتني تركت على عثمان تبكي حلاله
وقولهم لا أفعله ولا كيدا ولاهما أي ولا أكاد أفعله كيدا ولا أهم به هما قاله سيبويه ومنه الهمام وهو الذي إذا هم بأمر أمضاه ولم ينكل عنه انتهى ذكره العارف بالله تعالى سيدي عبد الرحمن الشاذلي رضي الله عنه ثم إن الأمر المهم لا يخلو إما أن يتيسر وهذا بـين وإما أن يتعسر أو يتعذر فيلزم المهتم به تنغيص كبير وشغل فكر به وذهول عقل فيه فيطلق على هذه الحالة أيضا هم فيقال فلان مهموم وعلمته هموم أي استولت عليه فظهر آثارها على وجهه وسائر حواسه وعلى هذه الحالة قوله :

كليني لهم يا أميمة ناصب وإيل أقاسيه برعى الكواكب
وقوله في بيت المثل وقائلة الخ . ومعناه أن الهموم بقدر الهمم كثرة وعظما فكما كثرت هم الإنسان وعظمت كثرت همومه وعظمت ولا محالة أن الإنسان إذا كان غير متعلق بـمعالي الأمور وإنما همته في سفسافها وأدناها رضى منه بالعجز

وإخلادا إلى الدعة وفرحا بالسلامة وتسليمه ذلك لأهل الكد والنصب قلت همومه بخلاف ما إذا كان متعلقا بعمالي الأمور كلفا بها في الورد والصدور جادا في طلب المحامد ومقتنيا من المكارم الطارف والتالد فإنه تعظم همومه بقدر عظم ذلك وكثرة ما هنالك فظهر أن مراد الشاعر التبجح والافتخار لا بمجرد التمسك بالاعتذار فإن كثرة الهموم وإن كانت مكروهة بالطبع فإنها محمودة من حيث ما نشأت عنه وتسببت عن وجوده لأن كل واحد لا يتعلق إلا بما يناسبه ويشا كله كما تدل على ما يصير إليه حاله . وإذا ظهر لك معنى المثل فينبغي أن تعلم أنه لا يخلو كريم نفس عن هم أبدا لأن نفسه مجبولة على ابتغاء المكارم وهي من حيث كونها آثارا لأسماء الله تعالى لا تتناهى كذلك همومه ولا بد من مثال يسفر بعض الأسفار عن مخدرات الاجمال ، فأما في بساط أهل الطريق المنطوي على سر الحكمة الباهرة فمثال ذلك المهتم به العلم وهو أشرف المهمات وهو كما تقدم الإيماء إليه ونص عليه غير واحد لا غاية له ينتهي إليها ولا حد يحيط به وفوق كل من ذوى العلم عليم ومنتهى العلم إلى الله القديم فمهمومه لا محالة غير شابع وكالإمارة مثلا وما اشتملت عليه من جميل الأوصاف عقلا وحلما ونجدة وشجاعة وسياسة وغير ذلك مما يطول تفصيله وشرحه وغير الإمارة من المناصب الشريفة وفي هذا البساط يورد أكثر الناس المثل وغير خاف أن هذا ونحوه كله أمر ديني شرعي مع صحة النية فيه والقيام فيه بالأوامر الشرعية فعلا وتركها فهو أولى ما يهتم به ويتبجح بالانصاف بالكد والنصب في طلبه

وأما في بساط أهل الباطن النافضين أيديهم عما سوى الله تعالى في سائر المواطن فمثاله أيضا في حق أهل البدايات أنه لا يقطع المرید السالك مرتبة إلا ويحصل له الاستعداد لما فوقها وهكذا في سائر مراتب النفس المبينة في بساط السلوك فبقدر ذلك الاستعداد الذي هو همته في مقامه يكثر ويعظم همه وهذا ظاهر واضح فإذا بلغ درجة الكمال وصار من أهل النهايات وخواص الرجال كأن استعداده أقوى وأعظم لأنه مستعد حيثئذ لتوالي التجليات واختلاف صورها في مقام الشهود فافهم :

ستكفيك من ذاك الجمال إشارة فدعه مصونا بالجمال محجبا

فيعظم همه في هذا المقام بقدره وذلك من أجل أن معرفة الله لانهاية لها إذ لا يعرف الله إلا الله وغاية ما يصله الواصلون منها مقام الحيرة انتهى عقل العقلاء.

إلى الحيرة رب زدني فيك تحيرا . قال بعض الأكابر الكامل أي وال تجلياتك على
ولأن الكمال الذي لا يقبل الزيادة لا يكون إلا لله تعالى فافهم وتعلم أن اهتمام الكامل
بالزيادة من هذه الحيرة أعظم هم وأجله وزاهيك بأمر به اهتم الرسول الأعظم
صلى الله عليه وسلم وطلبت الزيادة منه لكن الهم في الكامل هنا على ما يناسب مقامه
ويليق بجلالة قدره ولكل مقام مقال وكذلك يعظم هم الكامل أيضا من أجل ما يجب
عليه من أداء الشكر في مقامه فهو يهتم بذلك دائما كما أشار إليه الشيخ الكبير العارف
بالله تعالى سيدي عبد الوهاب الشعراني نقله عن الشيخ محي الدين بن العربي الحاتمي
ونصه : العارف يأكل الحلواء والعسل في هذه الدار والسكامل المحقق يأكل فيها
الحنظل فهو كثير التنغيص لا يتلذذ في الدنيا بنعمة أبدا اشغله بما كلفه الله به من
الشكر عليها فالعارفون كالاطفال بالنسبة إلى هؤلاء الكامل فما بالك بغير
العارفين انتهى .

ففي على جمعي القديم الذي به وجدت كهول الحى أطفال صبوتي
وبما يدل لما أشرنا إليه من أن الزيادة لا بد من طلبها في مقام الكمال قوله تعالى
(وقل رب زدني علما)

قال بعض المحققين أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول رب زدني علما ولم
يأمره به إلى وقت معين فهو دائما دنيا وأخرى بدليل فاحمد ربي بمحامد يعلمنيها
لا أعلمها الآن .

وإذا كان الله خلاقا إلى غير نهاية فالعلوم إلى غير نهاية انتهى . وعلى هذا مذهب
من لم يقل بالرى من كمل العارفين ، وهناك من قال به وهم على مقالة الشيخ الأكبر
ابن العربي : الأولياء المكشوف لهم عن عالم الحياة الدنيا وطول مدتها ، ولمسمع
الشيخ الكامل أبو يزيد البسطامي رضى الله عنه قول بعضهم أعني القائلين بالرى
مخبرا عن نفسه بحصوله قال الكامل من يتحصى البحار ولسانه خارج من العطش اه
بمعناه على طول عهد به وإلى هذين المذهبين أشار قائلهم بقوله :

الرى قال به قوم وائس لهم علم بأن وجود الرى معدوم
لو كان رى تناهى الأمر وانقطعت أمـداده وزيادات وتعليم
والأمر ليس له حد يحيط به ولكن الرزق في الأشخاص مقسوم

وهذا الذي تيسر مما أوجب على العبيد الأسعاف به خالص محبتكم وصفاء
مودتكم وإن كنت حفظك الله استسمنت في هذا البحث ذا ورم ونفخت في غير
ضرم فلو لا أكيد إخوتكم ما كتبت في هذا حرفاً واحداً ولا أعملت فيه فكراً
ولاساعداً لعلني لا آتي إلا بما لاحاق بل تحته على أنني أتمثل حيث لامندوحة
عن الأسعاف بقول القائل :

ترك التكلف فيما قد أتيت به أولى من المظل والإخلاف والكسل
واعوذ بالله أن يكون ما كتبه هوى متبعاً وداء كميناً مخبئاً وهو حسبي ونعم
الوكيل انتهى

وقد ذكرنا في غير ما ترجمة من هذا الكتاب طرفاً من الفوائد المروية عنه
وغير ذلك مما نقلناه من تأليفه بغية المستفيد المشهور فضلمها عند كل مرید ، وقد
مدحها غير واحد من أفاضل الإخوان منهم شيخنا العلامة الرئيس سيدي الحاج
عبد الكريم بنيس حين ختمها بالمطالعة بقوله متعرضاً لملاح سيدنا رضى الله عنه

عطفتم بعد مطالها بوصول	ثم حيث بمنطق كالآلى
فشفت من بعادها كل مضنى	ذا غرام عن ودها غير سال
قد شغفت بحبها ومناى	منيتى ووصالها نجمع حالى
جمعت من جواهر العلم جما	فى نظام أتى بسحر حلال
توجتها بشرحها بغية ابن السايح العربى الفتى المفضال	
لجبا من بحار أنقال علم	درا لانسام بالأموال
وتصدى بها لحفظ طريق	منهج الشرع نهجها المتوالى
هى مثلى أتى بها نجل طه	أحمد الختم شامخ الأفضال
التجاني خاتم الأوليا المكم	سوم شمس شعاعها متوالى
عن نبى الهدى مباشرة دو	ن شيوخ ومسند الأقوال
يقظة عن شفاهه دون مين	تلك عطفة سيد الأرسال
ومق الاتصال منه تأتى	نخبال عدوانا لانفصال
فهنيئاً به لأصحابه الغر فكم أحرزوا بحسن امثال	
قال خير الورى له أنت حسبي	والموالى لمايككم لى مواليد

فبجاءه الرسول خير البرايا
لاتخيب إلهنا فيك قصدا
فاتح الكون خاتم الرسل هادي
فعليه نأزكي صلاة بلا حـ
وعلى صحبه الكرام ومال
توفي رضى الله عنه في انـسلاخ رجب الفرد الحرام عام ١٣٠٩ وقد رثاه بعض
الأفاضل بقوله :

إن لم تفض مهجتي من العيون ندما
وتنثر العين من بعد العقيق لما
فما اهتديت ولا قضيت واجب من
وصرت من كافي أقول وأسفا
فتح أخى وانتحب وانسد معاهده
وقل مقال شجى القلب مكتئب
قد صاع البين والتبريح مهجته
أأيقظت طرق الأسماع ماذهلت
بالله يا صاحبي صحح لنا نبشا
هل غوث هذى البرايا قد دعاه إلى الرضوان رب حباه بالرضى كرما
ذ العارفين ومن قد فاقهم شيئا
أكرم به نسبا في الخافقين سما
مود الطوية مبدأ ومختما
وشيخنا من به افتخارنا عظم
تصاحبه بالعلل نصا كما علما
وبغية المستفيد للعللا وحمى
مور الكرامة بالتقوى قد اتسما
سرت سرى الشمس فى الإشراق سيرته

يا فوز عبد بها عن نفسه حكما

جاءت عن الحصر إعظاما مفاخره عزت عن الفهم إدراكا مآثره
فما ألد وما أحلى شمائله إن غاب شخصك عن عيني وأنت بها
وكان في رؤية العيان مطلبنا غيبت عنا وقد خلفتنا هملا
كنت المفيض علينا من معينك ما وكنت والد قلبنا تؤدبنا
كما تهذبنا تهذيب ذي خلق كنت الطبيب لحسم داء قبوتنا
والكل في غبطة بما به شرف مولاي بامطلع الأنوار ياسندي
كنت الخليفة للقطب الشهير أبي العباس من لمقام الختم قد ختما
بالسبق حاز المعالي مفردا علما يارث سر النبي اختص واعتصما
فيه ولي ولا قطب علا وسما أعظم به شرفا لنا ومغتما
خليفه وحييا للكمال سما له الشفاعة فيمن حار واجتزما
أفراد أعيانه في السلك منتظما أعلا الفراديس مقبولا ومحترما
وكل من حبه بالقلب واحترما يغشى ضريحك منهلا ومنسجما
تؤم مشواك مامزن الغمام هما وضريحه برباط الفتح مقصود الزيارة من كل بلاد وكل من حل بساحته نال

١٥ نسخة العين ٢٠، فيه اكتفاء واقتباس من قوله تعالى ذلك ما كنا نبغي

غاية المراد وفيه يقول بعض العلماء الجلة شفاننا الله وإياه من كل علة .

هذا ضريح السيد بن السائح ذي الفضل والنور المبين اللامح

هذا مقام العارف المولى أبي الففيض المقدس ذي الثناء الفائح

هذا ضريح ضم بحرا لم يزل يرمى بموج بالمعارف طافح

من طبق الآفاق بالسر الذي عم الورى من حاضر أو نازح

بدر الهداية صاحب الحق الذي يسطو لكل بحال ومكافح

هذا الذي أقذى عيون الحاسدين العمى عن نور الإله الواضح

هذا الذي نصر الطريق الأحمدية بالبنان وباللسان الرامح

هذا الذي أعلى منار العلم والتهوى بقول للخفية شارح

هذا الذي مازال يرتاض العلا حتى تسنم كل صعب جامع

لا يختشى جور الحوادث جاره كلا ولا كيد العدو الكاشع

من راح في حاجاته لجناحه حمد السرى وغدا بقصد ناجح

ياسيدى يامن يهش جبينه بنزله هش الكريم الماسح

إني حلت حماك ضيفا طالبا أن لا أبوء سوى بسعى راجح

فأعطف على وجد بما أملت فاكف الهموم ودافعن مكافح

فأله يحزبك الرضى من فضله يا خير هاد للبرية ناصح

وعليك يابدر الكمال تحية موصولة مع كل غاد رانح

وصلاة رب العرش ثم سلامه أبدا على قبر النبي الفاتح

وعلى صحابته الكرام وماله السفر الهداة وكل عبيد صالح

ولنذكر هنا جوابا وقفته عليه منقولاً من خط الفقيه العلامة أبي عبد الله

سيدى محمدا كنسوس رحمه الله بعثه لصاحب الترجمة حيث سأله عن أمور يتفطن لها

من قرأه ونصه : سلام عطر فواح خضل الغدو والرواح على المقام الذى طبق

الكون لإشراقا وطاب فروعا وإعراقا وعذب ثمارا وراق أزهارا وأوراقا مقام

سيدنا العلامة البركة فى كل سكون وحركة من ولى إلى حضرة المعارف من كل باب

وأزال عن وجوه عرائسها الجلباب وأذهل الأذهان بما أبرز منها وحير الألباب

وتصرف ما بين سما كها وسهاها وجرى فى ميادينها إلى منتهاها

له سور تلى من الحمد خطابه العلاء في صديحة القمر السعد

أبي عبد الله سيدي محمد العربي بن السايح لزال طيب ثناء سيدنا يسير مع كل
غاد ورائح . أما بعد : فإننا نحمد إلهكم الله المحمود بألسنة الجماد الذي ليس لنا إلا على
فضله الاعتماد وقد وافانا مسطوركم الكريم مع فلان كما بلغنا أيضا قبله كتب أخر قد
اقتضى العجز عن جوابها أن يترك لا أن يتأخر لهيبة المتجلى وسطوة المتولى وارتداد
الطرف عن سماء ذلك الخطب عند فتورها أو ضعف النفوس عند ارتكاف تلك
الأحوال واندكالك طورها أمور كقطع من الليل بواغث كما بغث النائم هجوم السيل
أمور صدك بها الزمان صفاح الوجوه ولطم ، وساقها بالهمر سرق السواقة الحطم
فسار عندها الرجل الحزم كصارم في كف منهزم ، يفرع إلى ما يتخيل من أسباب
الصلاح كما فرع الجمان إلى السلاح ، وإلى الآن إذ هبت من تلقاء الرحمة والألطف
هذه البارقة ، فنسأل مولانا البر الرحيم أن يعم بها مغارب أرضنا ومشارقه
ويكشف هذه الغمة عن هذه الأمة بجاه رسوله المبعوث رحمة للعالمين آمين

وما ذكرت سيدنا من السؤال عما ورد عن محمد بن اسماعيل بن مسلم في زيارة
أعظم الوسائل فوالله ما المستول عنها بأعلم من السائل والظاهر من ذلك عند إجرائه
على قواعد الصناعة أن الآية الشريف ، وهي ولو أنهم إذ ظالموا إنما هم عند الافتتاح وأن
المقيد بالعدد الذي هو سبعون إنما هو ما بعد ثم لا ما قبلها وإن كان الأفضل والأصح
هو تلاوة الآية مع كل فرد من أفراد العدد المذكور وما ذلك إلا زيادة خير ،
وعلى ذلك حمل قول الشيخ سيدي أحمد الهندى رضى الله عنه فإيه أرشد إلى ما هو
الأكمل ، وذلك هو مبنى الطريقة وهو اتباع الأحسن دائما ، والله يديم لنا سعدكم
في عز وسرور والسلام اهـ

الفقيه سيدي محمد كنسوس

ولترجم هنا لصاحب هذا الجواب فأقول والله المستعان ، هو علامة الزمان
الذى لا نظير له في الأقران غواص بحار العلوم لاقتناء الطرائف وخاتم لجج
المعارف لا ذخار جواهر اللطائف أبو عبد الله سيدي محمد بن أحمد كنسوس القرشى
الهاشمي الجعفرى رضى الله عنه . هذا السيد من جملة المشهود لهم بالفتح في هذه
الطريقة المحمدية المشتهر فضله بين الخاصة والعامة والموصوف بالولاية التامة القائم

في إرشاد العباد لطريق الرشاد على ساق الجد والاجتهاد لا تأخذه في الله لومة لائم
وكان رحمه الله آية من آيات الله الباهرة بما أولاه الله من المناقب الفـاخـرة
والكرامات الظاهرة والعلوم الزاخرة والأسرار والمعارف والفتوحات واللطائف
والحقائق والرقائق والدقائق والحوارق للعادة بين الخلائق قد جمع الله له بين الدين
والدنيا وأجلسه على منصة العز في العليا .

وكان في عنفوان شبابه عند أمير المؤمنين مولانا سليمان قس الله روحه في
الجنان بمكة لاحظا بعين الإجلال مكانه ، وهو آخر وزرائه الأعيان وأجل
مجالسيه الإعلام في السر والإعلان ، وقد كان أولا على الطريقة الناصرية ، وسبب
أخذه لهذه الطريقة التجانية ذات المواهب العرفانية ما ذكره في غير ما تقييد من
تأليفه ورسائله ، فمن ذلك قوله رضي الله عنه في جواب بعثه لبعض الفضلاء الجله
بعد صدر الكتاب ونصه :

قد بلغنا كتابكم الكريم فتبركنا به وهو حقيق أن يتبرك به ؛ وعلمنا ما أشرتم
إليه فيه وما حصل عندكم من الخيرة والتوقف فيما ذكرتم فيه فاءلموا أيديكم الله أن
طرق المشايخ رضوان الله عليهم كلها أبواب مفتوحة إلى حضرة مولانا الكريم
موصلة إلى رضوانه ورحمته وهي بمنزلة الطرق المحسوسة المؤدية إلى محل واحد وهي
مع ذلك مختلفة في القرب والبعد والسهولة والصعوبة والأمن والخوف وغلبة
السلامة والعطب ، ولكل من المشايخ أصحاب مكتوبون في ديوانه لا يسعدون إلا
على يديه وربما طالت خدمة بعض المريدين لشيخ مدة مديدة ولا يفتح له على يده
لأنه لم يكتب من قسمته ، كما وقع للشيخ زروق في تلميذته أولا للشيخ سيدي
عبد الله الزيتوني ثم تلمذ بعده للشيخ الحضرمي وعلى يده وقع له الفتح .

نعم العاقل لا تفرع له العصا ولا تطرق له الحصى بل يختار كلها أمكنه الاختيار
يميز الغث من السمين ولا يدين الله تعالى بمجرد التقليد كشأن العامة الذين
يعذرون بالجهل .

وقد كنا نحن أولا على الطريقة الناصرية وذلك أنا وجدنا آباءنا على أمة
فكنا على آثارهم ، وذلك أن لنا غاية الاتصال بذلك الجنب الطاهر العالي .
وسبب دخولي لهذه الطريقة المحمدية التجانية أنني لما كنت بفاس وسمعت بما

اعد الله تبارك وتعالى من الفضل لأهل هذه الطريقة على لسان إمامها رضى الله عنه مخبرا عن سيد الوجود صلى الله عليه وسلم وأنها طريقة الفضل المحض . لما علم الله عجز أهل الزمان عن الاستقامة التامة التي كان عليها السلف الصالح في الزمن الصالح أظهر بفضله وكرمه هذه الطريقة المحمدية التي هي طريقة الفضل في هذا الزمان الفاسد ليسعد الله بها من شاء من أهل السعادة فلما علمت ذلك وفهمته وتمكن مني غاية ، وقعت في حيرة أشد من حيرتك لأجل ذلك الاتصال البليغ الذي تقدم ذكره فلما أود الله تبارك وتعالى زوال حيرتي أهل لي بعض الصالحين المجاذيب وهو سيدي أحمد الغراني رضى الله عنه وله عناية عظيمة بي وملازمة تامة وكان كلما لقيني يقول أنا أريد أن أردك إلى طريق المعرفة وأنت تهرب منها ويقول ذلك بعنف وعوت عال وربما سبني ولو لقيني في اليوم مرارا لا بد أن يقول لي ذلك ، وفي آخر الأمر صار يقول لي والله إن لم تدخل لطريق المعرفة لأفعلن بك كذا وكذا يهددني وأنا مع ذلك صعب على مفارقة ما كنت عليه ، ولما جاء الوقت لقيني بعض أهل العناية من أصحاب سيدنا أحمد التجاني رضى الله عنه وهو أيضا من أهل الولاية الشهيرة فأخذ بيدي وجعل يذكر لي من مناقب الشيخ وأحواله العالية وقال لي لا بد لك من الدخول في هذه الطريقة المحمدية أحبيت أم كرهت فمشي بي إلى زاوية الشيخ رضى الله عنه وكان يوم الجمعة فلما دخلنا على باب الزاوية والناس يذكرون كان أول ما طرأ سمعي من المنشد قول القائل :

ردناك أحبيناك هذا عطاؤنا فامنن أو امسك أنت للحب منشأ

فلما أخذت الورد لقيني ذلك الولي المجذوب وجعل يضحك خارقا للعادة ويفرح فرحا شديدا وقال لي الآن وجبت عليك البشارة حيث رجعت من أصحاب سلطان انتهى . وأخبرتني بهذا لتعلم أن العاقل لا يتقيد بمجرد التقليد ويقول إنا وجدنا هذا مع آباءنا بل يختار كلما أمكنه الاختيار ، ويميز الغث من السمين والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم انتهى .

وقال أيضا في رسالة أخرى يخاطب فيها بعض علماء الطريقة حين سأله عن منتهى فيها مانعه :

أهلم سيدي أننا أدركنا سيدنا ومولانا الشيخ رضى الله عنه ووجدناه بقيد

الحياة لما رحلنا لطلب العلم الشريف بحضرة فاس وذلك عام ١٢٢٩ وذرناه والحمد لله ودعا لنا بخير وسمعنا منه ورأينا وجهه السعيد مرارا وحضرنا جنازته وظفرنا بالصلاة عليه وذلك من أعظم فضل الله علينا وكانت وفاته رضى الله عنه سنة ١٢٣٠ ولم نأخذ الطريقة إذ ذاك لأن الغرض حينئذ كان مصروفا لتحصيل العلم الشريف لا غير ثم أخذناها بعد ذلك عام ١٢٣٨ عن خاصة أصحابه المقدم الشريف البركة المصوام القوام سيدي ومولاي محمد الغالي أبي طالب الفاسي المتوفى في حدود ١٢٤٤ بأحد الحرمين الشريفين طلع بعياله بقصد المجاورة رحمه الله تعالى ورضى عنه ثم أخذناها أيضا بقصد التبرك عن ولي الله العارف الكامل المتصرف الواصل الشريف الأصيل أبي عبد الله سيدي ومولاي محمد بن أبي النصر الفاسي دارا ومنشأ الحسيني أصلا وقد أذن لي رضى الله عنه في جميع الأسماء والمسميات الخ ما أذن لي فيه ثم أخذناها أيضا بقصد التبرك عن البركة العارف بالله الذي مذاق طعم المنام منذ فارق الشيخ رضى الله عنه وهو سيدنا ومولانا الحاج عبد الوهاب بن الأحمر الفاسي أحد خاصة الشيخ رضى الله عنه فقد أذن لي الأذن العام المطلق التام في كل مفعول ومقول . وكتب لي بخطه الشريف التقديم وأذن لي أن أقدم من طلب التقديم بلا حصر وأذن لي في جميع الأسرار التي خص بها من سيدنا رضى الله عنه لأنه كان خزانة سره وخزانة سر واسطته الأعظم الذي قال فيه الشيخ لا يصل منا شيء لأحد إلا على يدي سيدي الحاج علي حرازم براده وكان سيدي الحاج عبد الوهاب ملازما وخادما له وطلع معه إلى المشرق حتى توفي في بدر ودفنه ثم رجع سيدي الحاج عبد الوهاب من المشرق وقد ظهرت عليه بركة صحبة سيدي الحاج علي حرازم وبركة خدمته ثم لازم الشيخ رضى الله عنه حتى توفي راضيا عنه والحمد لله فهذا سندنا وصله الله لحضرة رضاه وقبوله وعصمنا من الانحراف والتبديل عن سوء السبيل اهـ

وقال في كتابه الجواب المسكت بعد كلام مانصه : وهذا مع أننا والحمد لله قد لقينا شيخنا لقاء التبرك ورأيناه وذرناه ودعا لنا بالخير وسمعنا منه ما نفتخر به ونشرف به في الدنيا والآخرة ، وأما الأخذ عنه إذ ذاك فلم نكن بصدد ذلك في حال الحداثة وحين السعى في تحصيل ما قسم من علوم الرسوم والأحكام الشرعية وكنا نظن إذ ذاك أنه ليس الشيوخ إلا الذين تأخذ عنهم تلك الرسوم إلا

أن الله تبارك وتعالى بفضله ورحمته أناح لنا في تلك الحالة إشراقة تهدي إلى محبة
ومحبة أريائه فكنت أسمع بعض أشياخي الصالحين الذين أقرأ عليهم يقول المرة
بعد المرة إذا عنت عويصة من أقوال المفسرين أو المحدثين قال الشيخ العارف بالله
تعالى سيدي أحمد التجاني رضى الله عنه ويبالغ في تعظيم ذكره فساءت الناس عن
هذا الذي يعظمه الشيخ هذا التعظيم كلها ذكره فقل لي ولي كبير الشأن متبحر في
العلوم ولا يسأل عن شيء من العلوم إلا أجب بصريح الحق والصواب بلا روية
ولامراجعة كتاب فكتب السائل جوابه من إملائه وحفظه كما أنه يسرده إمن أصل
صحيح فكنت أنعجب من ذلك وعلمت أن الله تعالى أولياء فزرع الله في قلبي محبة
الصالحين فلم أزل أسأل عنهم وعن أحوالهم وخصوصاً شيخنا رضى الله عنه فأبحث
عن أصحابه وأتق منهم أخباره وأحواله العجيبة فتربو محبة الله تعالى في قلبي ويزداد
شوقى وغرامى فلم يلبث الشيخ رضى الله عنه أن توفي إلى رضوان الله الأكبر
وكراماته الباقية وكنت ممن حضر جنازته والصلاة عليه والحمد لله فلما أخذت
طريقته المباركة عن وارث أنواره

أتانى هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً خالياً فتمكنا

الح كلامه رضى الله عنه ولفرط محبة صاحب الترجمة في سيدنا رضى الله عنه وفي
طريقته الحميدة كان يضرب به المثل فيها وهو أحد القرائين على ساق الجد في الذب
عن حماها المنيع ورد تهورات كل شنيع وفيه يقول البكاى المختارى من قصيدة
في مدحه معرضاً بطريقة سيدنا رضى الله عنه :

يهم بها السامى عليها محمد راب ن أحمد كنسوس الفتى من له الفخر
لقد زانها من فضله وجلاله بما لم تزنه لا افتراء ولا غدر
إلى أن قال :

وما عبت تجانية غير أننى حسود لعصفور مصاد له صقر

وقد أجب صاحب الترجمة برسائله المشهورة بالجواب المسكت رادا عليه حين
قصد التنكيت عليه بذلك في دخوله لهذه الطريقة وصدر الجواب بقصيدة في الوزن
والقافية موافقة لقصيدته مع إغضاء الطرف عن معايبه يقول في مطلعها :
دعت بعد ما أبدى مباسمه الفجر وزال عن الإشراق من ليله الحجر

أتأمل ذات الخال أنى ظاعن
وأنى للوادی المقدس تارك
وهل تترك العيس الهوامى مسارحا
وقد قرظ الجواب المذكور وبعثه
الخليفة العلوى الشنجيضى يقول فيه:

الآن بان سبيل الرشده وانضحا
غضضت لاغض طرف قد نظرت به
جنحت للسلم إذ كاخت عن حرم الـ
أخذت نار شقاق قد دعوك إلى
فما أجبت إلى العوراء داعيهم
لكن فلت بلا سيف ولا رمح
أوضحت للناس ماصار الضلال به
قذفت من بحرك الطامى لآلى لم
لاحت فلاجسم إلا اهتز من طرب
غاروا وغرت لدين الله مثلهم
من كان منهم لقول الحق مستمعا
ومن تكن عن عناد الحق قد حته
لا عاق ذهنك عن أمثالها أبدا
ياسيدا إننا جيران منزلكم
منا إليكم تحايا مثل ما سمعت
وقد أجاب أيضا البكاى عن أبياته المتقدمة علامة زمانه وفريد عصره وأوانه
أبو عبد الله سيدى محمد الصغير الشنجيضى رحمه الله بقوله:

أخالك قد غطت بصيرتك الزهر
نظرت إلى الشيخ التجانى نظرة
فغابت بها عنك المنيرة والبدر
يجل ويعلو منه عن مثلها قدر

رأيتك في ماء قليل شربته
ولم تدرك أن الأولياء بأسرهم
وهم كلهم عتق من الدرقائق
علا قدماه كل رأس لعارف
وما كل أتباع التجاني بجنبه
وشدت عرى الاسلام إلا كحلقة
أفاض لهم من بحره الخضم جدولا
تحلوا حلى أنواره فحسبتهم
فكن عارفا للقوم بالشيخ لأنك
فبالأصل نخر الفصل والعكس إن يكن

استطرد في مدح البكاي للشيخ عمر الفوتي وذكر بعض ما وقع بينهما بعد ذلك
وقصد بهذه الآيات الرد عليه أيضا في قوله بمدح الخليفة الكبير والولي الشهير
سلطان العلماء وعالم السلاطين المجاهد في سبيل رب العالمين أبا حفص سيدي عمر
الفوتي حين طار صيته في كل بلاد في نصره على الأعادي بالجهاد .

الحمد لله على خير خبر
قالوا بأن عمر الفوتي الفتي
أهلا به أهلا ومرحبا
شيخ حقيقة وسلطان هدى
وهو ولي عالم وعامل
علم وعدل عينه وميمه
يعيبه عدوه بأنه
قلت له لا عيب في ورد فما
ورب شيخ فاته تليذه
ولنما أشياخنا إخواننا
نطلب منهم ذلك العلم الذي
حتى إذا نلناه منهم لم يكن

قد جاءنا من مغرب . اب وسر
قام وبالحق وبالدين ظهر
شمس الضحى بدر الدجا وبل المطار
شريعة لكل شركي قهر
بعلمه في كل خير قد بهر
ملك ومجد راؤه راء الظفر
من أهل التجانية فيما نظر
فيه سوى ذكر فمن شاء ذكر
سبقا فوسى كان تليذ الخضر
أعلم منا بالكتاب والآثر
عندهم عنه اقتصرنا لقصر
شيخ لنا إلا النبي المعتبر

به وبأتباعه ندخل في عدن وننتقي به مس مسقر
وليس ذا مما يناله الفتى بأى شيخ من يقله قد كفر
لسنا لغير المصطفى بأمة حتى أبى بكر وحتى لعمر
من يدعى فضلا لشيخ ناله غير نبي قلت والله فجر
فأولى كنى إنه كالماء فيه صورة من القمر

وهكذا كانت عادة البكاى المذكور في ذمه لهذه الطريقة الربانية ومدح بعض
رجالها قصدا منه لنيل أغراضه النفسانية ولقد تصدى لرد ترهاته وتشذيعاته الواهية
على هذه الطريقة: المحمدية جماعة من علمائها المعاصرين له بما لا مزيد عليه ولقد أنشد
في الرد عليه صاحب العضب اليماني قول والده في مثله .

دييج إذ صار كالعصفور صال على صقر حديد شيا منقاره لحي
أو كالضفادع في أحشاء ذى زبد نقت فشار إليها سالخ الرقم
إني هممت أجازيه بفن اضحة كذات ودقين ترمى الأذن بالصم
شعاع تبقى خبايا القوم ضاحية يؤوب منها صميم الجسم بالسقم
ظلت وقد سنحت نفسى تنازعنى فيها فأنشدت قول الشاعر الحكم
وساقط نال من عرضى فقلت له قل كيف شئت فليس الشتم من شيمى
أعرضت عنه ولو أنى عرضت له سقيته حمة الأفعى من الكلام
ألجمتها بلجام الحلم فارتعدت وقد ترد جياذ الخيل باللجم

ولقد أداه الحال بعد ما كان يمدح الشيخ عمر المذكور إلى ذمه وإلى إيقاظ نار
الفتنة بين المسلمين لنيل التصدير في قومه ، قائما لإحراز مراده بخيله ورجله حتى
أقاه الردى بانقضاء أجله من أجله ، ولندكر طرف رسالة بعثها العلامة الأجل
أبو العباس سيدى أحمد بن محمد بن العباس العلوى التجانى الشنجهيطى إلى جميع
إخوانه القاطنين بالغرب خصوصا صاحب الترجمة والولى الصالح سيدى العربى بن
السائح والمقدم سيدى بلقاسم بصرى رحمهم الله ، فيها شرح بعض فعلااته معه عفا
الله عنا وعنه ، ونص المقصود منها بعد كلام .

اعلموا أن الشيخ الحاج عمر رضى الله عنه شيخ علم وتعليم وتربية ، له مريدون
هديدون ، سكن بهم في فلا من الأرض لم يسكنه أحد قبله ، يعلمهم العلم الظاهر

والباطن كليهما ، ويذكرهم ويعظمهم صباحا ومساء بالموعدة والحكمة ، ويربهم بالنظرة واللقمة ، تكفل بكسوتهم ونفقتهم ، سمعته مرة يقول ، أقل ما يخرج من بيتي للأضياف في كل ليلة قبل هذا الجهاد خمسمائة مائدة وأقل ما يكون في المائدة الواحدة قرى خمسة أضياف .

وإذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الأجسام
ولم يزل هذا حاله إلى أن وقع عليه الكفار ، قال لي رضى الله عنه وقع علينا الكفار ولم يكن لي إذن صريح في جهاد الكفار من جانب الحضرة الإلهية ، وإنما لي إذن من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن الشيخ التيجاني رضى الله عنه بالدعوة والإرشاد إلى الله تعالى ، وأخبرت بعد ذلك أنني مأذون في جهاد الكفار ومنصور عليهم من طارق شتى بعضها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعضها من الشيخ التيجاني رضى الله عنه ولم أفعل حتى وقع علينا الكفار فأخذت الأذن من قوله تعالى (أذن الذين يقاتلون بأنهم ظلموا) وأنجز الله تعالى وعده ، وهزم الأحزاب وحده .

لذا أعلمني الله تعالى بعد العشاء ليلة الاثنين لعشر بقين من ذى القعدة الحرام عام ثمانية وستين ومائتين وألف ، بأنى مأذون في الجهاد بها أنى يقول لي : أذنت في الجهاد في سبيل الله ثلاث مرات فكان ما كان من أمره فيه مما لم يكن الخط هنا يفیه ، ثم إنه مازال يقاتل الكفار عبدة الأوثان والأصنام والجاحدين لرسالة سيدنا ومولانا محمد عليه من الله أفضل الصلاة وأزكى السلام بما لا عهد عندهم ، ولهذا قام مقام واحد من أئمة الاسلام ونصره عليهم خارق العوائد ومذهل الأفهام حتى دخل قاعدة بلادهم الكبيرة ذات الأصنام الكثيرة والكنوز الشهيرة مدينة سيئق بسين مهمة مفتوحة وياء ساكنة وقاف معقودة مضمومة وهى التى سمى البلد بها نحمدت نار الكفر بدخولها إخمادا وارتفع نور الاسلام ازديادا ولم يبق مسلم إلا وامتلا قلبه فرجا وسرورا ولا كافر إلا وامتلا قلبه خوفا وثبورا .

ثم بعد ذلك تجبر عليهم شياطين الإنس بمن كان الناس يظنون أنهم فى المرتبة القصوى فى الدين وأنهم من الأئمة المجتهدين وهم من جملة السوادين وهم الحاكون على مدينة تنبكتو التى تسمعون بها وهم كثيرون جدا ويقال لهم ما سنة وسلطانهم

يسمى أحمد بن الشيخ أحمد لب بتفخيم اللام وفتحها وضم الباء المشددة ، وكان البكاى يهجوّه ويتعوذ منه وفيه يقول : اللهم يا من محمد وجبريل عبداه ، من أحمد أحمد نعوذ بك اللهم من وزرائه وأعرانه فهم أشد وأنكد الخ .

ووالده الشيخ أحمد لب هو أول من بويع له منهم على وجه السلطنة والإمامة وهو ذو علم ودين ، إلا أن السلطنة مداخلها أحد قط وسلم منها كما تعلمون ذلك . وقد كتب مرة إلى السلطان مولانا عبد الرحمن تغمده الله برحمته الواسعة أنه يحب عليه مبايعته ومر الحاملون للكتاب بمن أخذ الكتاب منهم .

وقد كتب أيضا بمثل ذلك إلى حوس عتيق الشيخ عثمان بن فودي ، وكذلك كتب إلى كل سلطان يليه في الجهات الأربع على ما بلغني ثم إن أحمد أحمد هذا اجتمع مع الكافرين الموصوفين قبل على محاربة الشيخ عمر وغزاه ثلاث مرات بجيوش عديدة من مسافة بعيدة ، وهزم الله تعالى جيوشه وقع هذا كله بحضورى وسافرت عن الشيخ عمر بعد هزمه جيشهم الثالث وبعد سفرى عنه غزاهم الشيخ عمر فى أرضهم وقتل سلطانهم المذكور واستولى على جميع بلادهم وبايعوه عن آخرهم ، ثم لأنهم ارتدوا بعد ذلك والعياذ بالله تعالى وطلبوا من البكاى أن يعينهم عليه ، باجتماع كلهم على محاربته وبوثائق يكتبها بيده ويرسلها إلى النواحي بتكفير الشيخ عمر رضى الله عنه ، ويأمره أن يدخل فى الإسلام من الكفار على يد الشيخ عمر بالخروج عن طاعته ويستنصر لهم الناس لحربه سواء كانوا أهل كفر أو أهل إسلام وقالوا له إن فعلت لنا ذلك وغلبناه نصبك إماما ونبايعك عن آخرنا على التمام فأجابهم إلى ما قالوا وانقادت نار الفتنة بعد إخمادها وانشقت عصا المسلمين بعد التمام فكان ما كان من أهل الآفاق مما سمعتم من الافتراق والشقاق وإلى الآن ما وقع اتفاق ماشاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، ونعاضد الأخ مع أخيه والابن مع أبيه ، حتى إن آل الشيخ سيدى المختار افرقوا فرقتين فرقة مع الشيخ عمر كبيرها حماده بن سيدى المختار وفرقة مع ماسنة كبيرها البكاى والحرب فى الحقيقة بين الشيخ عمر وماسنة لأنهم هم أهل العدَد والعدَد ، وكان البكاى قبل ذلك يرسل إلى الشيخ عمر بوثائق المدح والسؤال وغير ذلك مما جرت

به عادته في الرسالة الواحدة للشخص الواحد، وفي ذلك يقول أخونا محمد بن عثمان مخاطباً للبكاي في قصيدة له :

مدح و ذم في مقام واحد من واحد لواحد عجب ان
إلى أن قل في هذه الرسالة بعد ذكر الأبيات المتقدمة ، وأما ما سمعتم من موت
الشيخ عمر والبكاي ، فموت البكاي صحيح في منتصف شهر رمضان سنة ١٢٨١
والشيخ عمر أعداؤه يقولون بوفاته في أربع من رمضان من عام شرف سنة ١٢٨٠
والعلم عند الله

ما قد قضى يا نفس فاصطبرى له ولك الأمان من الذي لم يقدر
وتيقنى أن المقدر كائن حتما عليك صبرت أو لم تصبرى
ولبعضهم :

وما القتل بالبيض الرقاق نقيصة إذا كان لا يخلو من العز والفخر
ولما أناس لا نرى القتل سبة إذا كان بين البيض والأسل السمر
وأحبابه يقولون بحياته وسلامته وخبره منقطع عنا لتباعدنا معه ولكثرة
الأعداء بيننا وبينه .

ولما رجل الدنيا وواحدها من لا يعول في الدنيا على رجل
فإن كان ما يقول أعداؤه حقا فقد بقي فيهم ما يخزيهم الله به وهو ابنه ووارثه
أحمد الكبير المدني

ينشأ الصغير على ما كان والده إن الغصون عليها ينبت الشجر
فهو والحمد لله خليفته حسا ومعنى

تضلع من علم الحقيقة ناشئا ولاغرو أن يحدو الفق حدو والده
وإن كان ما يقوله أحبابه هو الحق فذلك . المطلوب وقد جاءه بحضرتي رئيس من
رؤسائنا اسمه محمد محمود وهو ابن عم سيدي أحمد الوداني المشهور عندكم وقال له
ياشيخ قد كنا في خوف شديد عليك فقال له الشيخ وما ذلك الخوف فقال له محمد
محمود ياسيدي إنك مت فقال له الشيخ عمر أنا لا أموت فتحرير محمد محمود وأهل
المجلس في معنى الكلمة ولا عرفوا لها وجهها ولما رماهم تحيروا قال لهم إن لي وارثا
يرثني إذا مت فوثق لا يضر هذا الجهاد شيء ومن ترك وارثا كذلك لم يمت

يا ابن الكرام ألا ندنوا فتبصر ما قد حدثوك فما رام كمن سمعا
ولا ينبئك مثل خبير والله على ما نقول وكيل وكتب معيدا لاسمه محبكم أحمد
ابن محمد بن العباس العلوي الشنجيطي يوم الاثنين الرابع والعشرين من شوال عام
شرفاء سنة ١٢٨٢ هـ

واعلم أن صاحب الترجمة كان مائة من آيات الله في الدلالة على الحق والإرشاد
إليه في سره ونجواه وله تأليف عديدة ورسائل مفيدة وقصائد تسبي العقول وغير
ذلك مما أقر له بالفضل به أولو المعقول والمنقول ذكرنا بعضها في غير هذا الموضع
قصدا للاختصار وقد كان كثيرا ما ينشد ما أنشده سيدي ومولاي أحمد
العبد لاوي نفعني الله والمحبين ببركانه .

وإذا أراد الله نصره عبده كانت له أعداؤه أنصارا
وإذا أراد خلاصه من هلكة أجرى له في نارها أنهارا
وانذكر منا تكميلا للفائدة من أجوبته اللطيفة ومقالاته الشريفة ما أجاب به
بعض الشرفاء الأدارسة عن سؤال يظهر من جوابه ونصه : وبعد فقد بلغنا
مسطوركم وعلمنا ما أشرت إليه وما انقدح في صدرك من الإيمان الموجب لتحريك
للصواب وأخذنا بالورع في المأكول والشراب وتحريك من أكل الذبائح والفتوح
والهدايا .

فاعلم أيها الأخ أصلح الله منا ومنكم البواطن بالنيات الصالحات وزين الظواهر
بالطاعات المتقبلة أن المؤمن الموفق لا يضيق على نفسه في هذا الزمان لأنه إن فعل
ذلك لا يجد مخرجا ولا مهيما لفساد الزمان وغالب أهله بل الواجب على الإنسان اليوم
إن وجد في المسئلة وجهها شرعيا وقولا لأحد الأئمة المقتدى بهم وإن كان ضعيفا
أن يعتمد ويكيفه حجة عند الله تعالى ، وهذا الذي تخرجت منه لا حرج فيه فقد
تلقاه المسالمون بالقبول وعمل به في الأمصار وجميع الأقطار بغير تكبر وذلك
كأن شاء الله لاسيما مع شدة الاحتياج إليه وقد علمت أن الضرورات تبيح
المحظورات كأكل الميتة للجائع وإساعة اللقمة بالخير للغاص وهذا الزمان هو الذي
قال فيه سفيان الثوري رضي الله عنه لا نطلب في آخر الزمان مالا شبهة فيه فتموت
جائعا ولا عالما عاملا فتبقى جاهلا ، ولا صاحبا لاعيب فيه فتبقى بلا صاحب ولا عملا

لأرياء فيه فتبقى بلا عمل ، فهذه الأربعة لا تعالج في هذا الزمان ، وماترك من الجمل
شيئا من أراد أن يظهر في الوات ذير ما أظهره الله فيه ، وإن تفتنت يا أخى
علمت أن هذا مكيدة من مكيد الشيطان أعذنا الله وإياك من شره فإنه يزين للوهم
الورع في غير عمله والتوكل قبل البلوغ إلى مقامه والخروج عن جميع الأموال
والأسباب قبل التمكن من صدق اليقين لأنه إن فعل ذلك ضاقت عليه المعيشة
وتعذر حايه إقامة دينه وتشوش باطنه إذا رأى أدله وعياله في أسوأ حال ، وربما
يضيع الفرائض فضلا على النوافل ، فينوصل عدو الله إلى مراده من المكربه ،
فيقول له ما أوتيتك في هذا إلا ابتعادك الطريق المتصوفة واقتدائك برجل غير
معصوم يدعى المشيخة ، ولو كانت له قدرة على تفكيرك لتفكر وكشف عن سوء
حالك هذه ورحمك ، وإذا عجز عن تفكيرك في الدنيا فلا تفكر في الآخرة ، ورجع
إلى ما كنت عليه من الأسباب وتوكل على الله فإنه لا ينفع ولا يضر إلا الله وحده
فإن أطاعه في ذلك فذلك ذو الخمران المبير ، وإن بقي على حاله من الضيق عاش
في الفتنة التي جنى على نفسه حيث خالف الشريعة وأعرض عن تدبير الله له ، ودبر
لنفسه لأن الخروج عن الأسباب مع إقامة الله له فيها من الشهوة الحقيمية ، لذلك
قل مقامك حيث أقامك وإذا أراد الله شيئا بأسبابه وإلا فانت كما تنق في
الأخذ تنق في الترك أيضا . قال الميرى السقلى الإمام أحمد بن حنبل رضى الله
عنهما احذر آفات الرد كما تحذر آفات القبول .

وقولك وقد دنا في ذلك صفاء اللقمة التي هي للناس طريق الله لا محالة إن الأمر
كذلك إلا أن ذلك في زماننا هذا محال أو مثل المحال لأجل ما ذكرناه من قول
سفيان وغيره وقد نص شيوخ الطريق على انتداع التربية المصطاح عنها منذ زمان
وكرهوا السلوك بها ولم يبق إلا الأمم الباهلة .

قال شيخنا رضى الله عنه من أراد السلوك في هذا الزمان كن أراد سلما يصعد
به إلى السماء ، فالحاصل لا تفتن نفسك بالتشوف إلى ما كان عليه السلف الصالح من
الأحوال السنية فإنهم قد أعانهم على ذلك زمانهم ثم جاء زمن آخر له حكم آخر .
ولقد ظفرت يمينك بحمد الله بسبب متين من السعادة فتمسك به فإنه يكفيك جميع
المهمات الدينية والدنيوية ، وهو عهد هذا الشيخ الكامل ، فقد أقض عليه الحق .

وعلى أنبأه فيضة عظيمة من السعادة قد ألحمت أهل هذا الزمان بمن قبلهم بلامشقة
لما علم الله سبحانه وتعالى عجزهم عن سلوك الطريق على الوجه المطلوب المصطلح عليه
أخذ بأيامهم فأوقفهم بالباب وطوى لهم المسافات التي لا تقطع في الأعمار للطوال
جعلنا الله وإياكم من شملته هذه الرحمة وأظلمته هذه المنة آمين

وأقول لك يا أخى إن هذه الدار لا بد فيها من الصبر لاسيما على أهل النسبة إلى
أهل الله تعالى (ألسم أحسب الناس أن يتركوا سدى) الخ فإنهم لا يصفو لهم المشارب
إلا في آخر الأمر حيث يعلم الله صدقهم في دعواهم المحببة وإن كان قد وعد المتقين
على لسان الوحي الكريم أن تكون العاقبة لهم ، وأما أصحاب شيخنا رضى الله عنه
وعنهم فإن الشيخ رضى الله عنه قال : إن الله تعالى قد تفضل عليهم بلطف خاص دون
غيرهم فلا تنال منهم السدائد الدنيوية كما تنال من غيرهم بل تمنهم الألطاف من
جميع النواحي في جميع أحوالهم إلا من فرط وضيق أوراده ، فمن وجد شبيها من
ضيق الحال فليأتمنئ إلى دينه ثم يتدارك ما فرط فيه فإنه يتسع حاله في الحين ويأتيه
الفرج من كل وجه .

وأنت أيها الأخ اصبر قليلا قليلا فإنه ستغشاك الكرامات الزائدة والسعة
الظاهرة والسيادة الدائمة قريبا إن شاء الله تعالى بعناية شيخنا وبركة متابعتة
وأكثر من العملاقة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو عماد طريقنا ومفتاح كل
خير في الدنيا والآخرة واستمع بذكر يا لطيف دبر كل فرض ألف مرة بنية نفي
الفقر وحصول الغنى فإنه كغيبيل بذلك إن شاء الله تعالى وفيما كتبناه لك كفاية أه
واعلم أن ترجمة صاحب الترجمة قدس الله سره لو تدبناها لضاق عنها مجلدات
ومع ذلك فإذا لا نستوفي معشار العشر مما ناله من الكرامات ، وقد حدثني سيدي
ومولاي العارف بربه أحمد العبد لاوى نفعتني الله به مما رأى منه من الكشف
الصريح والسر الباهر الصحيح ما يبهز العقول ، قال : ولما اجتمعت به في أول رحلي
من عين ما غنى ورأى صدق محبتي والحمد لله في هذه الطريقة طلب مني أن أجلس
عنده ويدخلني الخلوة حتى يتم مقصودي على أحسن حال فيها فقلت له يا سيدي إنني
مكلف بأمور من قبل أولاد سيدنا رضى الله عنه فلا يسعني الآن التفرغ لها
وبكفيني الورد وفارقتة وقلبي معه والحمد لله وقد كنت أراه كثيرا ما يقول

(سبحانك ما أعظم شأنك يا رب أبهت الأمر علينا) فقلت مرة في خاطري
يا ترى ما سبب مواظبته على هذا الذكر ومن أين له به فالتفت إلى وقال لي مكشفا
لأنى رأيت في رؤيا رب العزة وأنا ساجد بين يديه أقول ذلك فلذلك ترانى مواظبا
عليه ، قال وأتيته مرة فوجدته في ضيق نفس وضجر ، وهو يذكر الذكر المذكور
فقلت في نفسي ، لا بد أن أخرج لآنى له بفأل يخفف ما به وكان يحب الفأل الحسن
فخرجت على هذه النية فسمعت صوتا لا أرى شخصه ولم أدر من أين هو يتلو
قوله تعالى (إن هو إلا عبد أنعمنا عليه) الآية ، ثم دخلت عليه وأخبرته بذلك
فقال قد فرجت عنى فرج الله عنك اه

وكان رضى الله عنه في هذه الطريقة المحمدية قائما على ساق الجدة والاجتهاد في رد
شبهات أولى العناد والانتقاد فكم شفى من علة وأبرد من غلة وأماط النقاب عن
مخدرات المعارف ، وأزال الحجاب عن أبكار اللطائف وما تسكتم فى مسئلة من سائر
العلوم إلا وأتى بها لا مزيد عليه فى بابها .

فإذا قرأت كلامه فكأنه فى حسنه تتلو كتابا منزلا

توفى رحمه الله فى آخر المحرم عام ١٢٩٤ وضرىحه بمرأ كش مقصود للزيارة
نفعنا الله بركاته وأعاد علينا وعلى المسلمين نفحة من نفحاته وسقى مشواه بشمايب
الرضوان وقدس روحه فى الجنان بروح وريحان آمين .

الحاج الطالب البار

ومنهم أديب زمانه وفريد عصره وأوانه ذو العقل الراجح والفضل الواضح
القتبس من أنوار العرفان أكمل مقتبس واللابس من التقوى أجمل ملبس الملاحظ
بعين التعظيم عند الصغار والكبار سيدى الحاج الطالب بن العربى البار ، كان
رحمه الله كثير المحبة فى جناب سيدنا رضى الله عنه منحاشا إليه من جملة التلامذة
البارين والمريدين الصابرين ، أخذ الطريقة عن سيدنا رضى الله عنه فى صغر سنه
وهو أحد فحول شمره الطريقة الموصوفين بالمجادة فى القول بالإتيان بكل دقيقة
ورقيقة ، ومن مدحه لسيدنا رضى الله عنه كما وقفت عليه فى كفاشه ونقلته من خطه
مباشرة قوله :

يا حيرة سكنوا البطحاء واتصروا فى حيا وعلى المحامد اقتصروا

تلك المحامد نلنم ليس ماملت
هي الرياض نمت فينا منافعها
يامن لهم في المعالي كل فاضلة
ناديتكم وبقلبي كربة وجوى
مالى بحملهما طوق وقد كلنت
من لى بصبر جميل غير منهزم
أورفس حر إذا سوفتها نهضت
أو بارق يقتدى لالأوه سرحا
وما نأى يتدنى وفق ماسمحت
والدهر طوعا وقد جادت مكارمه
من فيض غوث مغيث في التقى فرد
بدا فأسعد عالما به ظهرت
صفاته صفة الهادى ونجدته
في الليل بدر أتم وهو بازغة
مقاله الفصل يروى عن حقيقته
كأنه في التربي مستلذ غذا
تحكيه مسكا إذا ضاعت فوائحه
يلقى البشائر في الشورى ويأت بما
كان كل الورى في حان شوكتهم
لله مرشدهم من غير ماعرض
فيه المنا لذي دين وذى عرض
هاك التصرف هاك الشرع أوف به
رد سائغا من حباب الذوق صافية
رد سلسبيل الجنان في الحياة لدى
ورق جنانا بما الآذان تسمعه
صاحي وفيه اعتقد تحجب بحضرة من

به الكنوز ولا ما استحسن البصر
على الدوام فما الآثار والزهر
ومن بكل علاء في العلا اشتروا
من فرقة واشتياق فيهما شرر
نفسى التجلد لكن شأنها غرر
يهدا به القلب حتى يهتدى النظر
نهض استباق لمرى وهى تنتظر
بين الجوانح لم يصعب لها وطر
به السعود ولا مين ولا خطر
ومن معين الهدى في مهجتي نهر
وفي التصرف قادم ومقتدر
سعوده فيه حيث خصه القدر
لم يحكها في السلوك الشمس والقمر
على الدوام انتقاء الجد والسهر
شرائع الحق وهو فيه منتشر
وفي انتفاع الأنام الروح والمطر
ومغنطيس اجنبي إن جاءه بشر
يرى ولدين لا يبقى ولا يذر
ذرية له لم يسامهم كدر
لهم ولا له إن غابوا وإن حضروا
وذى حجا وفهوم جاء يختبر
لدى الحقائق لا تحتاج تنتظر
عند السماع بها العقول تفتخر
سمع الحديث كأن النهل منفجر
وانقل فديتك معنى ذا هو الوطر
به حباك وثق إن جارك الخير

واعلم بأنه زفحة الإلاه على
شيخ جميل سميع جا بمأدبة
نعيمها الذكر والتذكر مكرمة
بشرى لمنتسب ولو على قصر
يا أمن شيعة—ه يا عزرتبتها
وأفوزهم بسماح الرب يومئذ
ويأجوازم عند الصراط على الـ
لهم مواقف يوم العرض فاضلة
قد جاوروا المصطفى وهم صحابته
في كل حين لهم معنى شفاعته
ذانا مع الخلفاء الراشدين فإن
ما أصدق الوعد من خير الأنام على
ذاك التكرم من أجل الحفي بهم
نعني التجاني عز الدين أحمد من
ناقت إليه انما الأقطاب واغتخرت
ودوا اقماء وجلوا قدره ولهم
يلقى لهم ما تلقى في مراتبه
سبحان من خصه بالختم في قدم
أطاعه الفضل حلاه الزمان حلا
غنى قلب كثير البذل صورته
نجل النبي حقيقة وصاحبه
له ما جذبت بمناءه من درو
أناله الحق علما لو يبوح به
وهو المشفع في عصر به ظهرت
وزاده الحق فضلا بعد موته
شاعت مناقبه فسابه الرؤسا

هذا الوجود لها العرفان بتقدير
بعد المسيح لمن أناه مفتقر
لنا بها القرب والنعيم والنظر
يرى قصور الجنان ذلك القصر
عند الظليل إذا عم الوري الخطر
بلا حساب نعم في الحشر قد ظفروا
كهول منا إذا الأنام قد عبروا
عند الإلاه ولا خوف ولا زجر
وهو المربي لهم إذ ورده ذكروا
حقا ومشهدهم له به أثر
جاءت منيتهم بكلمهم حضروا
رضوان قلب تفضلا وما اختبروا
شيخ الكرام الذي أفضاله شكروا
ربي وأرشد في القدم الألى كبروا
ذوو النهى وتمنت وهو مستر
من الفيوض على الدرام تنهمر
من النبي على ما اختاره القدر
فضلا وصرفه فلم يزغ بصـ
معناه عز نجاه وهو منكسر
حسنى وأخلاقه لم يحكما زهر
ذانا وروحا يراه القلب والنظر
علت وما أدركت في غوصها الفكر
لصارت الكبرا عليه تنتصر
أياته فرماها الجن والبشر
أعوام عشرين ماعدا الألى ذكروا
وجلاله ذوو الألباب وانتصروا

يدري مراتب آخر ومستبق
ينبي عليهم ويشئ وهو مخبرنا
لو لم يكن غيره يحزيهم لكفى
يعنى سناه عن الضيا ومورده
ما أقرب البعد عند اللائذين به
أهنا المحب فلا كدا ولا نصبا
إن الولاية الأحباب قد ضمنت
حلى بطابعه في الميب كل فتى
يرقى بهم ولاجله المسكارم قد
رم فالمرام هنا وانهج فكل منى
ثق لحظه واحب ذرة تجد سعة
هو الكفيل إذا زلت بصاحبه
يلقى الحنان عليه كالسكينة عن
يا خاتم الأولياء والممد لهم
أريد حظا وإنى واغل ولما
وليس لى حرفة تغنى ولا سعة
والنفس صارت إلى الأوهام منزلة
جاء النذير ولا عذر ولا صفة
وأشرفت مهجتي في حال قوتها
وقد سئمت لأن العظم في وهن
أجنى ومالى وحمولة بحمل جنا
هذى الشكاية والظن الجميل غدا
أرجو الحياة به في روض جنته
ما بين روح وريحان ودانية
حتى نصير الحياة للحياة وفي
وللخصاصة أكفاء يحملنى

عيننا كأنهم من ذاته انتشروا
بأنهم لهم حج ومعتمر
ذوى النهى من نداه الطل والاثر
عذب المعين وفيه السير والسير
وما ألد الوداد للآلى اقتصروا
يرى ولا محنا واللفظ مبتدر
قبل المات وإن هفوا وإن جهروا
غدا حليفا لورد إن وفي العمر
فاضت عليهم وفي مأواه قد حشروا
تجد وكل غنى هذا هو الوزر
وقل جميلا تقل أو تحمد المثر
أوحبه قدم إن جاء به تذر
رضى ويرشده فينجلى الكدر
وهادى الأنقيبا إلى منتظر
جنيت في فرق والحال منكسر
تهنى ولا قوة والقلب مفتقر
ومن وسواسها الإدراك يقتصر
ترضى وكيف بمن صغاره كبروا
عجزا على اليأس لما عز لى الوطر
والحال حال ردى والضعف منتشر
ولا افتدار ومن لى يرتضى الهدر
غذا لقلبي وقد وانى به القدر
فى الله والمعطى وسائغى خضر
من القطوف مع الأسحار تبتكر
دواخلى خشية ومقلتى عبر
واللحقارة عز ليس ينفطر

والجوارح مأوى وفق رغبتها
وللتقى في الفؤاد الرحب متسع
والأمهات مع الآباء متحفة
والسعدن يشمل قارنا ومستمعا
ثم الصلاة بقدر الرمل عدتها
على النبي صفي الله في قدم
وماله وصحابه الذين سموا
ثم الرضى عنك يا غوث الأكابر ما
وما لأعظم أسماء المهيمن من
أهديتها (بوفا) عد ولي أرب ٨٩ في صفوة الرب حين ينتهي العمر
ومنه قوله وقد نقله من مبيضة ورتبته بترتيبه كما وقفت عليه بخطه رحمه الله
صاحي أرى الدهر مستوفي بإسعاد
بشرى فؤادي فقد وافتك أمنية
قد زارني طيف من أهوى فشده
كم غب منتظر والنفس تطلبه
هي المواهب إن هبت بنفحتها
قد صد وانصرم الآن العبوس وفي
وأقبلت فيضة المنان ما طلة
قل للفؤاد الذي انقضى تجلده
نعم إذا بزغت شمس الضحى ابتهجت
وف الثنا عن إله أنت سائله
يبدى لك الدهر أن كل حادثة
سل التجاريب مامرة بمقتحم
يهي المسائل جدوى أن سؤله في
إن عارض المطل مطلوباً وبث به
كذلك كنت على وكسدها، أخا أم

وفي الجوانح فيض السر ينهمر
وفيه عافيه والجلم مغتفر
روحاً وكل النطاف في الورى غرر
والحلم يلبس من دارت به الجدر
تنمو مضاعفة لم تبق أو تذر
من خلقه من به الفيوض تنفجر
به وسهام الكمال وافتخروا
دامت صلاة وجا بفضلها الخبر
فضل إلى المنتهى وما همى المطر
حين ينتهي العمر
واحبذا وصل إمداد بإمداد
من بعد يأس بلا ارتقاب ميعاد
أزرى ونعم أوصالي وأكبادي
وكم دنا من مراد دون ترداد
هيت لحلف الظما زلال ميراد
صدوده نأى كل نائب عادى
بوابل من حباه ودقها ببادى
من المطال ألم تلح بأساد
قوم سرت في الدجى وسرها الحادى
تدن المطالب واغبط كل حماد
ذاعت رزيتها دعت لإرفاد
مع الرضى المر إلا فاز بالزاد
روض القبول ولم يخب فتى جادى
باس فالحكم ميقات بتعداد
قد طال في النحس ملفوظا من النادى

وقد رمانى النوى فى وغرة وهوى كما كسانى الهدى أثواب تصداد
حتى خشيت انقطاع الوصل وانحدرت

بهمتى جراتى فى قفسر أو هاد

بعد التحرى تقوت حيرتى وأبت

كما تريح وكانت حال وكستها

إلى وسيلتها الذى تعزتها

فمد راحته بجذب جارحتى

فأردفتنى على سمود ساعدها

قالت ورممت لها إصغافا كلفت فما

لكن لكل مراد غاية أو ما

لذ ماسكا راحتى وسل أناملها

هى اليد السلسلة الناجى مقبلها

لها التصرف فى الأكوان إذ حملت

واستوطنت حضرة الرحمن لاقية

أنالها الله فيض الأنبياء كما استقته فى الغيب من إمامها الهادى

ربت أكابر أقطاب الورى قدما

وبايعت خيرة الأكوان رحمتها

له اتصال بذات المصطفى وله

بالختم فاز وبالكتمان برزخه

عن النبى رواء وهو شافع من

واختص ميزا بمدة تزداد له

هو الخبير بداء النفس كالتها

لله حالته صحوا ومصطلها

على الدوام مكلف ومجتهد

جاز العلوم بأسرها وقررها

يدرى بواطنها معنى وكيفية

نفسى الرضى وارقتضت مهواى فى واد

تغدو تنادى وعزمها بها غاد

به ولم تخل عن وجد وأجناد

وفى اجتباها كأن يوم إيجادى

وأرضعتنى وكنت جائعا صادى

يعبى وما حدث عن إنسان أئاماد

أحسست من قدم فى الحشو إيقادى

وكف الأكف ومل عن كل نقاد

ودا ولامسها من شؤم حساد

خلافة الحق فى قرب وإبعاد

فيضاً وأخذة تشريع إرشاد

كما حبتهم بإسرار وإمداد

جهرا على صحبة الدنيا وإبعاد

بروحه الوصل فى قفو وإصعاد

فرد وورده من كل الردى فادى

فى الجيل عاصره من مؤمن غاد

بعد انتقاله تعريفيا لإفراد

من الهوان ومن شرور أضداد

يعطى الحقوق لمصود ورصاد

يحى الظلام مطيقا أى مجاد

تقرير واع فلم تشب بتبساد

وكل قطب وأبدال وأطواد

مع الموقت والشورى لذى وطهر
مقاله الفصل فعله الخلاص له
قد صان رتبته المولى فما عرفت
حيا الورى بهرايين سنت وسمت
لو يعلم الكبرا إكبار حضرته
أو باح للعلما بما تعلمه
لمنتهى الدهر صوبه البقاء له
سما تفرد وشاد منزله
أنوار ذكره بالأنوار مشرقة
ماشتت صفه به من الكمال سوى
قد انتقى حزبه في الغيب وهو له
وفيه في فؤاد الود منسدل
أحل صحبه في محبوب عصمه
يرى الولاية حقا قبل موته
الله أكرمه ومن يلوذ به
ومن صحاب النبي صار في شرف
يعيش في دارة اللطف الخفي وإن
شفاعة المعطفي دأبا تلازمه
عمت ضمانته أهيل خلت
هو التجاني المتمدى منقذنا
عبت أحمد من أحيا الرشاد ومن
رضوان ربه في الدارين يغمره
أثر الصلاة على الهادي وشيعته
يارب جازه عني بالكمال جزا
وإجمع به الشمل في الدارين دون عنا
أهديتها له بالرضى وعدتها ٦٦ في اسم الجلالة تكفيلا لأوراد

وفي الإشارة فرد سره باد
أغنى يد والندی من خير أجداد
إباحث في المدى غدا بمصاد
وذاع تضويها أزوت بجحاد
خيامهم ضربوا بمن أوتاد
من ربه فندوه أي تقفاد
وفي القيامة ينبي ذكره الشادي
في العالمين منادی دون أنداد
وعصره بالهنا طرا كأعياد
نعت النبي تجده أي إيجاد
مرقى إلى المرتقى مغنى عن الزاد
يغار حيث الندى في كل ماناد
كوالد لذ حاجبا لأولاد
محب ذاته آمنة من انكاد
بظل عرشه تبكي لحساد
مع النبيين في صيانة الهادي
جنى فلم ير ضيقا تحت إجماد
نعم تحصله من كل تشاد
وما اعتري منه منتمى بإبعاد
من الردى المزدري بكل نقاد
أحيا الفؤاد بتذكار وإرشاد
وفيض ذاته بمزوج بإبعاد
تقضى يسر وتمحو كل أنكاد
خير ووف به حظي وميعادي
مع النطاف وعشرتي وأجدادي
في اسم الجلالة تكفيلا لأوراد

وقد تقدم لنا في هذا التقييد بعض القصائد من نظمته رحمه الله زيادة على ما أثبتناه هنا ووقفت في كنهاته بخط يده على نظم كثير ولم يعزه لالنفسه ولا لغيره والغالب على ظني أن ذلك له ولنذكر هنا طرفا منه تكميلا للفائدة فمن ذلك قوله :
لنا ذنوب وللرحمن غفران كما لنا منية والله منان
أوصافه قدما دعت لمظهرها في ضدها واعتدى الجهول الانسان
ما زال وصف الكمال للإله ولم يزل من الخلق نقصان وطغيان
وكل وصف لضده يحسن وفي الاستجائه له تعويل وإذعان
إن تجلى بوصفه القديم على السورى وما أحدثوا لم تبق أدران
والله أرحم أن يردى خليفته وفى قلوبهم بالله إيمان
فكيف بالمحتدى به وذاكره وظنه حسن وفيه إيقان
أو كان حلف رجا مستغفرا وله وسيلة من عباده لها شان
محمد نوره المحبوب فى قدم عليه منه صلاة وهى برهان
فظن بالله خيرا فهو واهبه واعلم بأنه لم يسئه عصيان
هو الرؤوف بمخلقه ورازقهم سبحانه جل حنان ومنان
ومنه :

يا من إليه أمور خلقه ترجع أنت المهيمن واللطيف وكلما
ولك العطا والمنع دون مازع ولنا يبابك واقفون بوصفنا
نحن الحوادث والتجرد شأنا ولقد تشاكل أمرنا فى ديننا
وأمرنا وعيا لنا فى حالة حكم المراد ومالنا إلا الرضا
ولك الثنا فيما حبوت من العطا فاجمع لنا الشمل المفرق واجتبي
بمحمد وبآله ياربنا وله العوالم والمعالم خشع
أوجدت من شىء لعزك يخضع تدرى المصالح والمضار وتسمع
وذنوبنا نرجو السماح ونخضع والحلم شأنك فى القديم مفرع
لضياحه ونفوسنا تتمتع أنت الخبير بها وعليك أوسع
فارق بنا يا من يضر وينفع ومن الثناء ومنك يظهر أرفع
منا الدواخل عن ذنوب نطلع ابذل لنا منك الهنا لانفزع

وهب الصلاة مع السلام لكلهم يا جامعا وله القضا والمرجع

ومنه :

بدأت فيا حبهذا المبتدأ وأكملت منا بمحض الكمال
فكيف يطاق عليك الشنا وأنت البديع ومنك النوال
ونحن العصاة وذا وصفنا وأنت الفريد بوصف الجمال
وإن افتقاري إليك غنى وذكرك في مهجتي خير مال
فعامل إلهي بمحض الوفا عبيدا عن العدل طاش ومال
وصل وسلم على المجتبي الشفيع وآله يا ذا الجلال
ومنه :

إلهي إليك الوجوه عنت وليس لعبد قضا في مراد
وإني عرت جسدي حيرة وقلبي من أجلها في نكاد
فجد لي بحسن اختيارك في أموري جميعا ودني المراد
بحاه نبي الهدى المجتبي منجى الغريق شفيع العباد
ومنه :

أنتك في ذلة وعنا وما عنك في حالي من سوى
وقد هالني ما اعتري خلدي من الهم في فافتي والهوى
ورمت الرجوع بكل مني ففيسك لكل فتي ما نوى
ومنه :

جاد لي بالمنى امتنانا حبيبي وارتناني لرتبة واقتراب
أهم القلب شكره وتجلي لي رضى بالعطا بغير حساب
وشفاني من الردى وسقاني صرف ود أزال كل ارتياب
قال لي مرحبا بعبدى وأهلا لك عندى زلفى وحسن مآب

ومنه في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم العشرة المبشرين بالجنة مع ذكر
اجتماعهم في أى موضع من عمود نسبه صلى الله عليه وسلم .

أصحاب خير الورى المبشرون لهم بفخره صلة أفديه من رحم
على المكرم صهره وأولهم في عبد مطلب ملقاه ذى الكرم

يليه عثمان ذو النورين منه لدى السحى
كذا ابن عمته الزبير عند قصى
ولا بن عرف وسعد فى كلابهم
وحلف هجرته الصديق اكملهم
ووده عمر مع السعيد لدى
أبو عبيدة فى فهر يشاركه
بجاهه رب صل دائما أبدا
ومن مقطعاته المستملحة قوله :

عدت عن لومى فإنى فى الهوى
هكذا حال الذى بين الورى
وقوله :

ولمى إذا ما كنت فى عالم الكرى
فيا ليت حامى النوم من لجة الحنا
لذ بالوفا واحتفظ من كل منتقص
ولا تعب فطنا على زعامته
وأشددنى أخونا البركة الأجد سیدی محمد بن العارف بالله سیدی أحمد
العبد لاوى نفعى الله به من فائیه صاحب الترجمة المشتعلة على ما يزيد على أربعائة
بيت مطلعها :

لمليكة التذكار لا تستنكف
وبيدل رقص جند روحك ألف
ومنها :

يا فاس صول بمدفن القطب الذى
ومن داليتہ المشتعلة على نحو أربعائة بيت أيضا مطلعها :
ظعن الوفود على الذلول الاقص
ومنها :

إن التجانى عبرة قاعبر بها
قل للذين تصدروا لمقامه
يفنيك عن حمل الغدا والمقصد
وتولهاوا لمضاه المستبعد

أيدي العناية قد قضت في غيبها تحوى له ذاك المقام الأحمدي
وهي تشتمل على نحو ٤٠٠ بيت وقد أخبرني حفظه الله أنه شرحها بعض علماء
الجزائر بشرح لطيف وفيما ذكرناه كفاية .

وكان صاحب الترجمة رحمه الله محترفا بالتجارة حفظا لنفسه من أن يكون حالة
على الناس وكان كثير المعروف ولا زالت بعض مآثره الآن بالزاوية المباركة التي
بعثها للإخوان من خالص ماله ليستعملوها في بناءاتها ومن جملة ذلك شبابيك الحديد
الموضوعة في شراجبها وديربوز الصفر المجاور للتايوت الشريف وغير ذلك وتوفي
رحمه الله فيما يقرب من سنة ١٢٦٥ ببلدة جنوه بإيطاليا واسان حاله يتول:

مشيناها خطي كتبت علينا ومن كتبت عليه خطي مشاها
ومن كانت منيته بأرض فليس يموت في أرض سواها
حدثني المقدم البركة سيدي الطيب السفياي حفظه الله أن الولي الصالح سيدي
العربي بن السائح رحمه الله كان يتأسف غاية الأسف على وفاة صاحب الترجمة بتلك
البلدة لأنها ليست من حكومة أهل الإسلام مع كونه من أكابر المحبين في جناب
سيدنا رضي الله عنه ثم إنه رأى رؤيا أزال ما به من الأسف على ذلك وذلك أنه
رأى سيدنا رضي الله عنه وقال له أنتم تقولون الطالب البار توفي في بلاد النصراري
وهو عندي هاهنا انظروا ورفع رضي الله عنه فوجده تحت إبطه ثم استيقظ
فرحا مسرورا بهذه الرؤيا انتهى

الحاج محمد الحبابي

ومنهم البركة الأجل الخير الناسك الأفاضل ذو الأفعال المحمودة والفضائل
المشهود والمآثر الفاخرة والمفاخر الظاهرة أبو عبد الله سيدي الحاج محمد الحبابي
القاطن بزنقة حجامة من مدينة فاس وليس هو من أولاد الحباب المشهورين بفاس
بل أصله من كرجامة بقصر ريجانة من جبل الحبيب وأول من انتقل من جدوده
لفاس كان كثيرا ما يجري على لسانه في مخاطبة الناس قوله يا حبابي فلقب بالحبابي
فنسب إليه أولاده ولا زالت طائفة من أحبابهم بالجبل المذكور ينتسبون للشرف كما
أخبرني بذلك بعض أحفاده، وكان صاحب الترجمة رحمه الله من أفاضل أصحاب سيدنا
رضي الله عنه الذين وهبوا نفوسهم وأمواهم إليه وطرحوا جميع أغراضهم بين

يديه وسلبوا إليه الإرادة حتى قالوا بذلك في الدارين أكبر إفادة مربوطة بحبل
 السعادة وكان رحمه الله قائما على ساق الجدة في اغتنام أوقات الخير ذا اعتناء شديد في
 أداء الأمور واجتناب المنهيات بما فاق من أقرانه به الخير وكان سيدنا رضى الله
 عنه يحبه محبة خاصة لما رآه فيه من صدق المحبة والوداد الصافي من كل كدر في حالتي
 الحضر والغيبة ، وكان رحمه الله ذا هممة عالية لا ترضى بالأمور الدنيئة مجبولا على
 المعروف والإحسان تاركا لأهل المنكر والبهتان ، وكان رحمه الله صاحب دنيا
 واسعة جدا بحيث يضرب به المثل مثل صاحبه الحاج الطالب بن جلون بل هو
 أكثر منه مالا ، وقد بلغني على لسان الثقات أنه كان كثير الإحسان والمعروف
 بحيث ينفق كل يوم في سبيل الله مالا له بال ، وإذا كان مارا في السوق ترى الفقراء
 من ورائه مزدحمين عليه ويعطى كل واحد ما قدره الله له ، ولا يرد أبدا سائلا لما
 جعلت عليه نفسه من فعل الخيرات ، ولو تعرض له السائل مرارا حتى إنه شاع في
 البلد والأمصار فضله ، وعرفه بذلك أجانبه وأهله ، وكان بعض التجار من أصحابه
 يسمع بإحسانه فقال في نفسه والله لا اختبره وأنظر كرمه ، فتعرض له في الطريق
 وأناه من ورائه على عادة من يسأله ومد له يده فأعطاه شيئا ، ثم تعرض له أيضا
 وغير صوته فساو له أيضا شيئا ، ثم تعرض له في موضع آخر فأعطاه شيئا أيضا
 ولا زال معه كذلك حتى بلغ لداره لحسب ما أخذه منه فوجد شيئا له بال فتمعجب
 من ذلك ثم دق الباب واستأذن في الدخول عليه ودخل وصار يتكلم معه إلى أن قال له
 كيف بك يا فلان تعطي من سألك هذا العدد ولم تخيب من سألك وقد فعلت كذا
 وكذا حتى اجتمع عندي هذا وأراه الدراهم التي أعطاه فقال له إنك فضحتني
 فالله يرزقك فضيحة ، فلما نزل ذلك التاجر الذي كان سائلا سقط من بعض الدرج
 فانكسرت فخذه ، ولا زال كذلك حتى توفي بسبب ذلك ، وقد وقفت على ما أوصى
 به من متخلفه للأشرفاء والفقراء وأحفاده من أولاده ما يتعجب منه كل من وقف
 عليه وجعل الوصى على أولاده والناظر على أحبابه الحاج الطالب بن جلون
 المذكور وكانت داره تعرف بدار السودان لما فيها من كثرة الخدم والعبيد وقد
 اعتق جميع ذلك وأوصى لهم بوصايا تخرج من ثلثه ، وبعد موته أخذ كل حقه
 مستوفى .

والمصاحب الترجمة ما أثر شتى منها أنه حفر بئرًا بالصحرَاء يردها الراح والغادي ولا زالت إلى الآن تعرف ببئر الحبابي قرب سوق بوغام المعروف ، ومنها ما رقبه حبسا على من يقرأ البردة بضريح الولي الشهير سيدي عبد الله التاودي المدفون خارج باب عجيصة كل سبت ، وسبب ذلك أنه كان مسافرا على ناحية دوجده ، بثقلة هائلة مشتملة على بضائع ثمينة من السلعة ، فبينما هو في الطريق إذ خرج عليه اللصوص من كل جانب وأحاطوا بقافلته وكانت تزيد على المائة بعير حاملة للتجارة فنبهوها كلها وفتحوا أحمالها وصاروا يخرجون قوارير عامرة بأنواع العطور ويكسرونها على حجرة هناك تعرف بحجرة المطر الآن بسبب ذلك وظنوا أنها عامرة بالشراب ، ولم تسلم له من تلك القافلة إلا نفسه فرجع إلى فاس وهو يحمد الله على ما أصابه والناس يقولون إنه صار من أفقر الوري بعد أن كان أغناهم ، ثم إنه رأى في بعض الأيام رجلا في رؤيا وقال له اذهب إلى ضريح الولي المذكور واحفر بالموضع الفلاني فإنك تجد به أمانة خذها وبع بها واشتر وإذا احتاجها صاحبها ردها عليه ، فاستيقظ من منامه وذهب إلى ذلك الموضع وحفر فيه فوجد مالا له بال فأخذه وصار يتجر به ، وإلى أي موضع رمى بيده جاءته بالفتح حتى حصل له أكثر مما كان عنده ثم رأى بعد ذلك رؤيا وذلك الرجل يقول له رد الأمانة إلى موضعها فإن صاحبها احتاجها فأخذ قدر ذلك المال الذي وجدته وذهب به إلى ذلك فوجد رجلا من الصالحين يحفر هناك وهو يتأسف ويذهب من موضع إلى موضع آخر ويحفر فيه فقال له صاحب الترجمة مالك أيها الرجل فقال له ياسيدي استودعت أمانة هنا عند هذا الولي ولما جئت لأخذها لم أجدها هنا ، فقال له ماهي ؟ فوصفها له فلما تيقن أنه صاحبها دفعها له وأخبره بقضيته فصار ذلك الرجل يدعو له ويقبل يديه .

وبعد رجوعه رتب ذلك الحبس على من يقرأ البردة بضريح الولي المذكور إلى غير ذلك من مفاخره العالية ، وتوفي رحمه الله تعالى أواسط سنة ١٢٥٢ ودفن بسيدي قاسم بن رحون بجوار المحراب القديم هناك والله الموفق .

الشيخ الحافظ الشنقيطي رضي الله عنه

ومنهم ذوالمناسقب الشائقة والأنوار الساطعة والفضائل الفاخرة والكرامات

الظاهرة الولي الكبير والعارف الشهير علامة زمانه وفريد عصره وأوانه
أبو عبد الله الشيخ سيدي محمد الحافظ العلوي الشنقيطي أحد خاصة الخاصة من أصحاب
سيدنا رضي الله عنه المفتوح عليهم بالولاية الكبرى وقد ترجم له صاحب البغية عند
قول المنية في تعداد المشهود لهم بالفتح على يدي سيدنا رضي الله عنه

والعلوي الوارث الرباني سيدنا الحافظ ذي العرفان

بما ذكره وأما قوله العلوي فالمراد به الشيخ الإمام العالم العلامة المهام أحد ورثة
أسرار الشيخ رضي الله عنه بلاريب سيدي محمد الحافظ العلوي الشنقيطي قدس الله
ثراه ويأتي في نسبه ما تقدم في نسب الناظم رحمه الله تعالى فهو من قرابته الله والذي
تقدم له هو قوله العلوي نسبة لقبيلته ذوى على وهي قبيلة من قبائل شنقيط ، وهم
ينتسبون إلى سيدي محمد بن مولانا على كرم الله وجهه وقيل إلى على آخر هو جد
القبيلة والقبيلة عند قائل هذا منسوبة إلى مولانا الحسن السبط رضي الله عنه . هذا
الذي سمعته من الناظم رحمه الله اهـ

ثم قال وهذا السيد هو الذي انتشرت على يده هذه الطريقة الأحمدية بالمغرب الأقصى
وله ما أثر لا يمكن فيها الحصر والاستقصاء ، وقد تجاذبت أطراف الحديث في
أخباره مع الناظم رحمه الله ذات يوم فطلبت منه أن يضع له ترجمة يجمع فيها
ما يحفظه من أخباره فأعظم ذلك بما ظهر على وجهه أثره وقال لي أمثلي يترجم للشيخ
محمد الحافظ ؟ وجعل يكررها مرارا فقلت له إن لم أرد الإحاطة بما يتعلق بمقامه
وأحواله وإنما أردت شيئا يسيرا من خبره في الجملة أتعلق به . فقال لي إن كان
ذلك فاكتب عني ما أمليه عليك فذكر لي ما حاصله وملخصه :

أن الشيخ الحافظ هذا رضي الله عنه لما حصل من العلوم الرسمية ما حصل وصار
إماما يرجع إليه فيها عزم على الحج لبيت الله الحرام وزيارة قبره عليه الصلاة
والسلام ، وجعل من أهم مقاصده التي يطلبها في رحلته تلك ملاقات شيخ كامل من أهل
الله تعالى ، فاتفق أن رافقه في الركب الذي توجه فيه رجل من أهل سجلماسة لأنه
توجه في الركب السجلماسي فلما حصلت بينهما الألفة أفضى كلا منهما لصاحبه بمره
وكان مطلب الرجل السجلماسي كطلب الشيخ الحافظ فتعاهدا على أن يخبر من عثر
على المراد في ذلك صاحبه ، فلما وصلا مكة جعل الشيخ الحافظ رحمه الله تعالى

لا يألوا جهدا في طلب ذلك من الله تعالى في جميع أماكن الإجابة فبينما هو ذات يوم في الطواف إذ لقيه رجل فأسر إليه شيخك هو فلان ، وذكر له اسم الشيخ رضي الله عنه ولم يكن طرق سمعه قبل فأتى صاحبه وأخبره ثم جعل يسألان عن الاسم الذي ذكر لها حتى انتهيا إلى أهل المغرب فقال لهما بعض الناس انظروا أهل فاس فأنيا جماعة من سرقة أهل فاس فسألهم فقال لهما بعضهم هناك عندنا بفاس رجل فقيه يعمل كذا كذا ووصفه بالحكمة وعلم الكيمياء وكأنه يريد بذلك تنقيصه وتابعه على ذلك جماعة إلا واحدا منهم قال لهما انظرا تلك الجماعة فإنهم مظنة لتحقيق خبره أكثر منا فأنيا تلك الجماعة فألقيا عليهم سيما الخير فسألهم فأنشروا خيرا وعظموا الجانب وذكروا العلم والولاية ونحو ذلك ، وقالوا لهما إن هاهنا رجلا هو أخص الخاصة من أصحابه يعنون سيدي الحاج علي حرازم رضي الله عنه فنفعتوا لهما بحله فأخبرهما خبره فأخذ بمجامع قلب الشيخ الحافظ ، فعزم على التوجه لفاس بعد قضاء حجه وزيارته ، فدعا لذلك رفيقه فلم يستطع مفارقة الركب السجلأسي حيث لم يقسم له من الله تعالى شيء عند الشيخ رضي الله عنه

حكم نسجت بيد حكيم ثم انتسجت بالمنتسج

ثم بعد قضاء حجه وزيارته توجه إلى فاس فأقام عند الشيخ رضي الله عنه في زاويته المعروفة يربيه مدة وحين أزمع على السفر إلى بلده أجاز له الشيخ رضي الله عنه في طريقه الإجازة المطلقة ولم يقيد له بشيء إلا في التقديم فقط فلا يزيد فيه على عشرة وهذا القيد خاص بهذا السند الحافظي كما خص السند العالي بالتقييد بأربعة في مرتبتين فقط على ما تلقيناه عن بعض الخاصة ممن هو أحد أربعة المرتبة الثانية وأهل مكة أدرى بشعابها .

وعند مواعده للشيخ رضي الله عنه قال له أوصني فكانت وصية الشيخ رضي الله عنه له أن قال له لا تظهر بنفسك حتى يكون الله تعالى هو الذي يظهرك . فتوجه لبلده وأقام بها مدة يدرس العلم للطلبة ولا يدعو أحدا إلى طريق ولا غير ذلك عملا بوصية الشيخ رضي الله عنه فاتفق أن رجلا ممن كان يشار إليه بالصلاح وملاقة الحضر عليه السلام أتاه ذات يوم بعد أن صلى العصر بتلامذته وجلس إليهم يذاكرهم فلما دنا الرجل من المجلس قيل له هذا فلان فقال سبحانه الله ثم قام

إليه ورحب به وأجلسه إلى جنبه فامتنع الرجل أن يجلس إلا بين يديه ثم قال له أتدرى لماذا أتيتك؟ قال لا. قال أتيتك بإذن لتعطيني الأمانة التي أتيت بها من التل فقال له ياسيدي وأى شيء أتيت به من التل إنما أتيت ببعض الكتب فإن كان لك غرض في بعضها جئتك به وهو لك فقال له الرجل دعني ياسيدي من هذا وإنما أتيتك لتعطيني ورد الشيخ أحمد التيجاني رضى الله عنه الذي أتيت بالأذن فيه فعند ذلك أنعم له وأذن له في الورد، فقام جميع من حضر ذلك المجلس ورغب إليه في تلقيه، إياه وسار كل واحد منهم إلى أهله وعشيرته فقص عليهم خبر السيد المذكور فلم يبت بيت في تلك الليلة من البيوت القريبة من منزل الشيخ الحافظ إلا وبات فيه ذكر الشيخ رضى الله عنه، ومن الغد أقام الناس أفواجا للأخذ عنه ثم تواصل ذلك وتراسل، فانتشرت الطريق على يده أى انتشار، وتخرج على يده ما لا يكاد يحصى من الرجال في هاتيك الأقطار ولولم يكن منهم إلا العلم والأشهر الذى تضرب بولايته في ذلك الصقع الأمثال الولي الصالح الناسك الفاضل سيدى (مولود قال) لكان كافيا في هذا المجال ولولم يتخرج على يدى سيدى مولود المذكور من سراة الأخيار إلا الجهمذ الكبير الحبر الشهير سيدى بانم المعروف (بولدحم ختار) لكان أيضا كافيا في هذا المضمار، والشيخ بانم هذا كان أخذ في أول أمره الورد الكنتى وتقييده بالطريقة الكنتية ثم بدا له الانتقال إلى الطريقة التجانية فتخلى عن الأولى وأخذها فذكر أنه بعد ما أخذها رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، والشيخ رضى الله عنه والشيخ سيدى المختار الكنتى جالسين بين يديه صلى الله عليه وسلم قال لجعل الشيخ سيدى المختار يعاتبني على ترك ورده وانتقالى إلى ورد الشيخ وطريقته وأنا أنظر إلى الشيخ عساه أن يحببه عنى فإذا هو رضى الله عنه مطرق رأسه غاض بصره بين يديه صلى الله عليه وسلم متأدب غاية الأدب لا يلتفت ولا يطرق فلما أكثر على العتب الشيخ سيدى المختار التفت إليه النبي صلى الله عليه وسلم وقال له (أوائك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) فانهطاع وسكت عنى حينئذ اه وهذا الشيخ الرأى من مشاهير أهل العلم والصلاح وحدثنا بهذه الرؤيا عنه أمثاله العدول الثقات وفيها اعتبار ما بين مقامى الشيخين وبين حالهما بين يدى سيد الكونين صلى الله عليه وسلم.

وَمَنْ تَخْرُجْ عَلَى يَدِ الشَّيْخِ بِأَنَّمِ الْمَذْكُورُ الشَّيْخُ سَيِّدِي مُحَمَّدُ بْنُ الصَّغِيرِ مُؤَلِّفُ الْجَبَسِ
الْكَبِيرِ وَنَاهِيكَ بِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَرَضِيَ عَنْهُ وَمَنْ تَخْرُجْ عَلَى يَدِ سَيِّدِي مُحَمَّدِ بْنِ الصَّغِيرِ
أَخُوهُ الْعَالَمِ الْكَبِيرِ الْعَارِفِ بِاللَّهِ تَعَالَى سَيِّدِي عُبَيْدَةَ مُؤَلِّفِ كِتَابِ مِزَابِ الرَّحْمَةِ
الرَّبَّانِيَةِ وَغَيْرِهِ ، وَهُوَ الَّذِي أَذِنَ لَنَا وَأَجَازَ بِهَذَا السَّنَدِ ، وَ لَنَا بِخَطِّ يَدِهِ رَحِمَهُ
اللَّهُ تَعَالَى وَرَضِيَ عَنْهُ أَهْلُ الْمَقْصُودِ مِنْهُ .

وَقَدْ ذَكَرَ هَذَا السَّنَدُ سَيِّدِي عُبَيْدَةَ الْمَذْكُورَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي لَامِيَّتِهِ الَّتِي مَدَحَ
بِهَا سَيِّدَنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعْدَ الدَّعَاءِ لِسَيِّدِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ :

وَارْضَى بِفَضْلٍ مِنْهُ كُلُّ مُقَدِّمٍ
كَحَافِظِنَا وَهُوَ الْمُتَرْجِمُ بَيْنَنَا
وَعَصَمَانَا ذِي الْجَيْشِ الْكَبِيرِ سَيِّدِي
بِهِ شَيْخُنَا بِأَنَّمِ عَنْ شَيْخِهِ السَّنَى
وَعَنْ جَمَلَةِ الْأَخْوَانِ فِيكَ وَمَنْ غَدَا
عَلَيْنَا لَهُ نَعْمَى تَجِدُ وَلَا تَبْلَى
قَرِيبَا وَبِالْآخِرَى كَغَفَرْتَنَا الْآجِلَى
مُحَمَّدَنَا نَجَلَ الصَّغِيرِ عَنِ الْمَوْلَى
مَهْدِنَا مَوْلُودَ عَنِ حَافِظِ وَصَلَا
لَهُمْ نَاصِرَا فِي كُلِّ قَطْرٍ مِنَ الْأَمَلَا

وَهَذِهِ الْقَصِيدَةُ لَا نَظِيرَ لَهَا فِي مَدَحِ سَيِّدِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَدْ اشْتَمَلَتْ عَلَى مَا يَنْبَغُ
عَلَى سَنَائِهِ يَدِ وَوَشَّحَهَا نَازِعَاتُ رَحِمِهِ اللَّهُ بِطَرَاظِ عَجِيبِ الصَّنْعِ بِمَا يَدُلُّ عَلَى مَهَارَتِهِ رَحِمَهُ
اللَّهُ فِي عِلْمِ الْأَدَبِ وَقَدْ نَقَلَ فِي الْبَغِيَّةِ طَرَفًا مِنْهَا وَكَثِيرًا مَا بَحَثْتُ عَنْهَا بَعْدَ أَنْ كُنْتُ رَأَيْتُهَا
فَلَمْ أَظْفَرْ بِهَا إِلَّا بَعْدَ مَعَانَاةٍ وَكَانَتْ عِنْدَ بَعْضِ الْأَخْوَانِ عَفَا اللَّهُ عَنْهُ وَغَنَّا عَنْهُ فَمَا طَلَنِي
مُدَّةً بَعْدَ مَا طَلَبْتُهَا مِنْهُ ثُمَّ لَمْ أَمْتَنِعْ كَمَا هِيَ عَادَةٌ كَثِيرٍ مِنَ الْمَعَاصِرِينَ الْأَقْرَانِ أَصْلَحَ اللَّهُ
لِي وَلَهُمُ الشَّانُ وَأَزَالَ عَنَّا وَعَنْهُ دَاءَ الْقُلُوبِ وَسَرَّ لَنَا وَلَهُ جَمِيعُ الْعُيُوبِ ثُمَّ أَتَى اللَّهُ
بِهَا مِنْ غَيْرِهِ زَادَهُ اللَّهُ خَيْرًا عَلَى خَيْرِهِ وَلَنَذْكُرْ مِنْهَا هُنَا جَمْلَةً كَافِيَةً اتِّخَافًا لِمَنْ لَمْ تُمْكِنْ
عِنْدَهُ عَسَى أَنْ يَكُرَّ مِنْهَا بَدْعَاءُ صَالِحٌ إِنْ نَالَ مِنْهَا قَصْدُهُ وَمُطْلَعُهَا :

فَقَا فَسَلَا أَطْلَالَ مِيَةَ قَالِ الْفَجَلَا ١٠
فَقَا تَلَالُ مَا سَلَا عَنْ طَلَاهَا
عَهْدَتْ بِهَا الْخَلَانُ فِي حَسَنِ زِيهِمْ
فَكَمْ سَجَرَتْ مِنْهُمْ رَجَالًا وَنِسْوَةً
وَكَمْ خَلَصَتْ إِلَّا عَنِ اللَّهِ وَالصَّبَا
نَفُوسَ الْهَوَى مِنْ حَبْنِ رَهِينَةٍ
حَبْوِ بَرَّةٍ مِنْ مِيَةِ بِلْهَاطِهَا
حَوَالِ الرَّبِّ مَا ذَا جَلَا الْأَعْيُنِ النُّجَلَا
غَرِيبٍ وَسُلُوَاهَا سَمَى الْأَبِ وَالنُّجَلَا
بَزِينَةٍ قَوْمِ الرِّقَصِ إِذَا أَحْدَثُوا الْعَجَلَا
تَمَرَّ بِهَا رَكْبًا وَتَمْشَى بِهَا رَجَلَا
بَغِيرَهُمْ هِمَانَهُمْ سَجَلَتْ هَجَلَا
فَمَا قَدَمَتْ كَفَا وَلَا أَخْرَتْ رَجَلَا
بِفَانِ رَجْفِنِ مَرٍّ مِنْ عَيْنِهَا النُّجَلَا

١٠ الفجل : أسم موضع

نتيجة شكل بيّن الفخر أنجبت
أعدت لأرباب الهوى أرتجيسة
إلى أن قال :

وعرج بمعراج السعادة مرغما
ورم بالإخا سلوان من فاه اللقا
فمن فاه محبوبه إنجاز رغبة
إلى أن قال :

فخيم أسنى التحايا مودعا
بدار القيعان السلامة رائدا
تمر بها مرا ملاحظ إخوة
ترى عين ماضى عين خالك شيقا
ترى العربى ابن السائح العمرى الذى
فتأخذ فاس العلم والمجد والمنى
تراقب أرباب التحرى تنصلا
من اهل التقى والخير والرشد سنيا
عط رحال الطالبين ومبتغى
به فاسهم طابت وطاب كيؤوسها
فكم سلبت نفسا سلبها غريزة
وكم أعجبت صرفا محاول متجرا
وكم قومت فهما سقيما مياها
وكم اتخفت ندبا بحسن عبارة
لها ساق قدما سائق الخير سائق
وحسبك أن العلم ينبع منهم
وخاتمة الأعيان فيها كما ترى
من اكياس كاس اتحفوا بكرامة
فلم يتركوا الاخرى لأمر دنائهم

وداع وداد لا يحول ولا يسلى
يبالك فاس البال تبغى الهدى خلا
من الشيخ لا يرضون منك بما فلا
لمكناسة الزيتون مستقبلا حجلا
ينسيك مرءاه الجهابذة استحلا
بصورة فاس الجهل فى كفه الشلا
وبغيتك القصوى زيارة من جلا
وسيلتنا العظمى تجانينا الأعلا
مريدى التقى لم يخفروا أبدا إلا
مناولة حسبا ومعنى فلم تقللا
رفاهية العيش الموهبة الحبلا
فانفق فيما يوجب الفتنه الرطلا
لطالب علم كان أكمه محتلا
قليلة لفظ كان معنيها جزلا
تجده على كثر يرى حظهم نشلا
كما تنبع الحيطان بالمساء منهلا
يقيمته الشيخ المعلى ومن أدلى
بمراى زوايا الشيخ أفنية الابلا
ولم يتركوا الدنيا لآخرة تسلا

إلى أن قال :

بلم تراب الشيخ شيخ العلا فدت
تجانينا تاج المحبة تاجه
به عين ماضيه تصفى فريدة
أعمل نفسى بالتصور الذى
فإن لم يكن يهوى دواء بذكر من
نشا بين إخوان أشقا وعشرة
إلى أن قال :

زوايا العشايا من تلفعها شغلا
وراجت مزاياء أج سما الجلا
صحيحة مبنى إذ بها النشئة الفضلا
أراجعه فاعدل أن ترك العذلا
يحب إذا مامنه قد حرم الوصلا
وأحوال عز من تجان مضوا خلا

ولما توفى الوالد المعنى به
فكان بهم برا تقيا معلما
ودام على التدريس للعلم مدة
إلى أن حواه ما حواه لبحشه
إلى أن قال :

قديمما تولى أمر أولاده كفلا
لجهلهم فى الدين بينهم حلا
وتدوينه فى عين ماضى وما اعتلا
بآفاقه عن رشده فابتغى الرحلا

قفولا إلى سمغون قرية فتحه
فلقنه الورد الملقن ضامنا
وأن لا يرى من غير خير الورى يدا
فقام ولا يثنى إلى الغير همة
إلى دعوة الخلق التى كان هاربا
ومن ثم لا تسأل عن أنوار سكره
ترادفت الأنوار وازداد سقيه
يحب مواطاة الرسول بكل ما
غدا فى اتباع السنة الصرف آية
فما زال يرعى ظاهر الشرع واقفا
ويسدى الأهل الظاهر الصرف حرمة

برجعتة فيها رأى المصطفى صلى
له جملة الاتباع عينا كما أملا
وأن إليه منتهى أمره إعلا
سواء لديه من جفاه ومن أتى
عن أرجائها أمرا من المهتدى الأعلا
وعن صحوه حدث ولا حرج بصلا
برى على رى مواصلة الهطلا
تواعلات الآثار عنه به فعلا
وقد على حذو النعال لما نعلا
به مع ما حد الإله له جلا
ويسدى الأهل الظاهر الصرف حرمة

ويسدى لأهل الباطن السر إن حلا

إلى أن قال فى فعل سيدنا رضى الله عنه مع أصحابه وغيرهم .

وحكم في النفس الشريعة أسوة
يوطنهم حالا وفعلا قبيل ما
فلم تكتحل بالنوم منهم خريدة
إلى أن حوتها سيرة مطمئنة
تجنب أخبار العوام فلا يرى
ومهما يخاط مرة قام بينهم
ولا يسأل المعقوص إسقاط حقه
فلازم شدا للحيـ ازم اخذا
تواسى ذوى الفاقات أبدى اصطناعه
ويحنو لأرباب المصائب رقة
يعاشر بالمعروف طبقا لما يرى
لذاك تراه يؤثر المرء ظاهرا
ويعجبه بادی الأمور ولوجفا
ويأبى مولاة الولاة بجانب
يرى يده الطولى عليهم ولا يرى
فما قابلت عينا وجه معظم
ولا رجعت بعد الترحل همة
ولا انخدعت في أمرها قط مهجة
ولا جاءه من يشتكى بمصيبة
ولا جهاد يبدي انكالا على التقى
ولا قاصر قد روع الأمر روجه
ولا وصلت منه العوالم مصرفا
وذلك فضل الله يؤتيه من يشا
إلى أن قال:

فنادى لسان الحال كل مسدد
وأما سرى هذا فليس لكم به

وفيمن تولى أمره تابعا خلا
يواقعهم قولاً فيربى لهم عكلا
على أمر تحكيم العوائد باستعلا
بغير اكنحال كلمها لم ترد كحلا
بجانسة فيما تحاوله بطلا
لإصلاح ذات البين يحملهم حملا
ويكرهه من أوجه كلفت كلا
بالاولى فالاولى في أمور الورى جلا
وتسلى الغريب الفرد أكثر ما يسلى
تفطر قلب الفظ في خلقه بلا
من خلاقه فالقلب بالقلب والأشلا
ويعرض عنه وهو خلاله حلا
ويبغض ذا الوجهين في أمره مقللا
فضائلهم قد عد نائلهم حلا
لهم منة بل للعلی فقط جلا
تكبر إلا اختل في نفسه خبلا
له قبل أن تلقى الملاقى ولا انجلا
له والتعمى في موطن يستحلا
وزائر الاطاب نفسا بها بتلا
تعاهد إلا عين الكثر منفلا
عن الكثر إلا استكثر العمل القلا
على الوجه إلا صادفته لها أهلا
وأعظم بفضل الله إن يؤته فضلا

هلبوا فهذا عين مقصدم إلا
فلاح ولا إصلاح حال به أصلا

وأحسن منه أن تدينوا مليكم
له من صلاة الله ما هو أهله
إلى أن قال :

وجلسه تمضي على قلب واحد
إذا ما طرا أمر تحروا مراده
فإن يه كانوا عنه أروع منته
إلى أن قال :

نخاف جليس الوقت كشف عواره
يرى ظاهر الأشياء جلياً بظاهر
له همة سبابة وعزيمة
لو اهتم يوما بالثريا لنالها
أنتبه على النهج الخلافة منحة
نحلي بكشف الأيم واليتم جيدها
بكلية الشيخ التجاني قد سرت
تمنى مفاتيح الكنوز يبدئه
يحدث عن أقطاب أمة من غدا
مقاماتهم كلا مشارب قد جرت
على أكمل الهيئات تم تساجه
نشب على مرقى مناهي حدوده
تجمع فيه كل من كان قبله
خلافة محقولة قبل ككونها
لئن أخرت وقتا فهي حرية
تفاد سر المصطفى البر وحده
مقاليدنا بالسكون أوتى سرها
تقدم للتصريف في عالم البنى

١٠ في نسخة كان على اليافوخ طير الكرى حلا

وشيد من حسن السياسة سيرة
تعودها من نفحة نبوية
إلى أن قال :

تخار ذور الألباب من دورها وهلا
تنسبها من ديمة هملت هملا

تميز بالوصف الجناني مثل ما
له صورة بين الأنام علية
على طبق ملاقاته راشحة بما
بياض مجلاها مشوب بحمرة
يرى جمهوري الصوت أحسنه على
له الجود طبع والفتوة ديدن
مهابا جليلا ذا حياء وعزة
يعبر من كنه المراد مبينا
إذا ما انتحى معنى يكاد بذهنه
فيدركه من أصل فطرته فيا
هو المعرب المروي المزجي بحاله
فأوتى من فضل الخطاب جوامعا
إذا الغامض المعنى العويص استضافه

وحل بها يوما يوم القرى حلا

كساف بتغيير الجواهر حلة
فيجعل بعد الذكر قرين بديلة
فتجلو ولم يحتج لإيراد شاهد
وما ذاك إلا للإحاطة بالذي
طواها فجلاها بفوز بمستوى
إذا مادنا للصعب حرض إلفه
ألا أحسن الله العزاء بفضله
ولا جرم الله الوصول لبقعة
ولا منع اللقيا بحضرة سدره

وحل بواها قبل قوله حلا
من اقرب مذكور يقربها جملا
عليها وكم سام التكلف من حلا
تكشف ذاك الرمز من سعة الإفلا
إشارته فصحي وتعبيره أجلى
فلولاه ما استحلى مقاساته المقللا
لفقدان بشر منه في وجهه الأجل
محوت جدنا حاز المطهرة المجلى
بها ملقى الأرواح لاملقى الأشلا

تحل بها الآجال من مسلم الرجا وتوتق على الآمال من ذلك المصل
عليك رضى الرحمن يا شيخنا الرضى وأرضاك عنا واستفدنا الرضى فضلا
إلى أن قال فى استعطاف الشيخ رضى الله عنه وبه وقع ختامها .

قنعت بما يولى ويمنع سيدى تعاظم أن تلقى بساحته بخلا
تكامل جدواه لعافيه موفيا لأوفى مراد لا نحس به عدلا
سيدى محمد الطالب جد الشنجيطى

ومنهم العالم الذى ضربت أكباد الأبل لاقتباس الأنوار من مشكاته وشاعت
فى جميع الأنظار فى زمانه فضائله الدالة على علو مقاماته ، الجليل الكبير والقُدوة
الشهير قاضى شنجيط وإمامها . أبو عبد الله سيدى محمد الطالب الشنجيطى هذا السيد
الجليل من أفاضل أصحاب سيدنا رضى الله عنه وخاصته المشهود لهم بالفتح الكبير
والرتبة العالية فى الولاية من غير تكبر ، وقد ترجم له فى البغية عند قول المنية فى
تعداد جماعة ممن اشتهروا بالعلم والصلاح ممن أخذوا عن سيدنا رضى الله عنه
والعلوى حبر شنجيط العلم الطالب العلامة البحر الخضم

يقوله وأما ثالثهم فهو إمام جيله والعالم المشار إليه بين أهل جلده وقبيله
أبو عبد الله سيدى محمد الطالب المدعو جد الشنجيطى العلوى من قبيلة الناظم رحمه
الله وقد ذكره هو والسيد السالك المتقدم الذكر فى كتاب الجيش الكبير ووصفهما
بالإمامة والجلالة والقدر الخطير ، ويكفى هذا السيد الجليل القدر تحلية الناظم له
بالحبر والبحر رضى الله عنهم أجمعين ونفعنا بمحبتهم آمين اه

وكما ذكر هذين الإمامين صاحب الجيش ذكر معهما الشيخ سيدى محمد الحافظ
المقدم الذكر ونصه فى خاتمة تكلم فيها على رفع قدر أشرقاء العلماء قال وإذا تمهد
هذا فالشيخ التجرانى رضى الله عنه جمع أصول الشرف من العلم والولاية والنسب
النبوى ووصفه بالولاية العظمى عدول أثبتوها له شاهدوه ورأوا عليه علامات
الولاية والخصوصية وأخذوا عنه ورده ، منهم الشيخ سيدى محمد الحافظ العلوى
وقاضى شنجيط ومدرسها الفقيه الطالب جد بن الشيخ العلوى وإمام وذان وعاله
أوجد زمانه السالك بن الإمام الحاجى رضى الله عن الجميع ولا نعلم أحدا عدل من
هؤلاء نفر الثلاثة فى المغرب الأقصى الخ

ومنهم الغالم العامل والعارف الواصل أبو العباس أحمد بسالم الوداني أخ العارف الكبير سيدي محمد السالك ، كان صاحب الترجمة رحمه الله أكبر علما وسنا من أخيه المذكور كما حدثني بذلك المقدم البركة الشريف الناصك والذاكر السالك سيدي محمد ابن المختار الوداني القاطن بالسودان من حفدة سيدي يحيى بن ادريس قال : ولما سمع سيدنا رضى الله عنه شدة له الرحال من ودان إلى فاس مع أخيه المذكور وتلاقيا مع سيدنا رضى الله عنه وانفعا به وأخذا حظا وافرا من أسرار الباهرة ثم ارتحلا بهذه الغنيمة العظمى قاصدين للحج إلى بيت الله الحرام وزيارة النبي عليه الصلاة والسلام فتوفي صاحب الترجمة رحمه الله بالحرم الشريف ورحل أخوه سيدي محمد السالك إلى قراره اه وهو صاحب الآيات المتقدمة التي أولها :

إلى أحمد التجسان وجهت رغبتى وماضاق من أمرى وماقل من صبرى

سيدي محمد السالك الوداني

ومنهم أخو المترجم له العلامة المتفنن والدراكة المتقن المقدم البركة أبو عبد الله سيدي محمد للسالك المذكور وفيه يقول صاحب المنية :

وكم إمام عالم علامة نقادة دراية فهامة
من ورد شيخنا الامام قد ورد حتى تفضل وفاز بالمدد
كترجمان العلم والقرآن السالك العلامة الوداني

قال في البغية هو العلامة الأوحى الإمام المبرز الفاضل الأجد سيدي محمد المدعو السالك ابن الإمام ولم يحضرنا الآن من تفاصيل أخباره ما ثبت في هذا الديوان وكفاه تحلية الناظم إياه بترجمان العلم والقرآن . والوداني نسبة إلى ودان بلدة بصحراء شنجيت معروفة ولم تنزل كونها دار علم ومقر خير وصلاح إلى الآن موصوفة انتهى .

أقول وقد حدثني الشريف سيدي محمد بن المختار الوداني المتقدم الذكر أن صاحب الترجمة قد تخرج على يده جملة من المقدمين منهم ولد عم المترجم له سيدي الأمين الوداني والمقدم سيدي محمد المختار والمقدم ولد عمه سيدي أحمد الوداني ومنه

انتشرت الطريقة النجاشية في أقطار السودان قدس الله أرواح الجميع في روح
وريجان ، وقد وقفت على قصيدة للعلامة سيدي المختار الشنقيطي بخط العلامة
سيدي محمد إكفوس رحمه الله بذكرها هنا استطراداً وهي هذه :

ألا إن خير الناس بعد محمد	وأحبابه السباق خير صحاب
عليه صلاة الله ثم سلامه	يدومان ما اهل الحيا برباب
ولي به ختم الولاية لائح	كما لاح ختم رائق بكتاب
ولي تمنى الأولياء مقامه	ولي مرى في الحقيقة زان
ولي ترقى في المعارف ناشئاً	ويجدد دين الحق بعد خراب
ولي له فضل الولاية منتبه	له أذنت بالقهر كل رقاب
فأصبح قطب الأولياء وغوهم	وجامعهم من نازح وقراب
ومنه استمدوا واستضاءوا بنوره	كماضاء بالمصباح كل شهاب
هو الجامع المكتوم والبخير من يرد	ينزل صافياً من ثواق وشراب
أمنكر فضل الشيخ من غير خبرة	والإنكار عند الجمل غير صواب
أنكر نور الشمس عند شروقها	وتد قابلتها العين دون عجاب
فما كان فضل الشيخ أحمد سيدي	على كل قطب قبله بعجاب
وليس لما أعطاء رب مانع	فيعطى الذي يعطى بخير حساب
أولئك خلق الله فضل بعضهم	على بعضهم في رزقه وثواب
فلا تفتقد إن كنت لم تعتقد فقد	يهوه بخسر من أتى بسباب
سيدي عبد الرحمن الشنقيطي	

ومنهم شيخ الشيوخ في عالمي المأثور والمأثور من له قدم الراسخ في الفروع
والأصول أبو زيد سيدي عبد الرحمن بن أحمد الشنقيطي الصديق لسيا

هذا السيد الجليل من أفاضل الخاصة من أصحاب سيدنا رضى الله عنه الذين
عرفوه قبل ظهوره الظهور التلم واقتبس من مشكاة نوره الخاص قبل العام وله في
مدح سيدنا رضى الله عنه قصائد وقد ذكر في جواهر المعاني منها قصيدة في فضل
الورد الشريف ونسبها لبعض الأدباء وهي :

تجارتنا يدينه بالذكر معمور وبالصلاة وبالخيرات معمور

مؤقت فيه ذكر الله ما طلعت

شمس وما غربت وذاك مشهور

أحيا طريقة أهل الله فهم به

مؤلف جمعها والكسر مجبور

شيخ المشايخ من في طي برده

جيب على النور والأسرار مزور

من داره جنة الفردوس وهو بها

رضوان خازنها أذكراها الحور

يفيض من سلسبيل الذكر كوثرها

فاشرب مفعجها فانت مأجور

أوراده رسول الله قد رويت

كذاك أفعاله والسر مأثور

فانقل فديتك في آثاره قدما

فان نقلت فذاك النقل مدخور

واحرص بأن تنمى يوما لجازبه

لحظ من ينمى إليه موفور

ولازم أوراده جمعا ومنفردا

فذاكر الله عند الله مذكور

وقد ذكر غالب هذه الآيات الولي الصالح سيدي العربي بن السائح في أول

البغية وحلى ناظمها بقوله : والله در العلامة المحقق شيخ مشايخ العلوم النقليات

والعقليات المبرز على أهل زمانه في تحقيق الجزئيات منها والسكليات أبي زيد سيدي

عبد الرحمن بن أحمد الشنجيتي المتوفى بفاس العليا في شوال سنة أربع وعشرين

ومائتين وألف حيث قال فيما نسجه في مدح سيدنا رضى الله عنه على أبداع منوال

وأعجب مقال ، أحيا طريقة أهل الله الخ .

وترجم له عند ذكر صاحب المنية لبعض الأفاضل من أصحاب سيدنا رضى الله

عنه حيث قال :

وغيرهم من علماء السنة أهل الفضائل وأهل المنه

بما نصه : ومنهم شيخ الشيوخ العالم العلامة أبو زيد سيدي عبد الرحمن الشنجيتي

المذكور في طالعته هذا التقييد كان إماما جليلا في سائر العلوم وكان يدرس

بفاس العليا وكان جميع نجباء وقته يأتون من فاس الأدرسية على أرجلهم لحضور

مجلسه وتخرج منهم على يده جماعة حسبا هو مصرح به في بعض الفهارس لبعضهم

كان هذا السيد قدس الله سره قبل أن يأخذ عن الشيخ رضى الله عنه مبعجلا معترقا

له بالخصوصية الكبرى مسلما أن علمه من علوم العارفين الكبار أهل الكشف

الصحيح . حدثني سيدي محمد الحفيان المتقدم ذكره قدس الله سره عن رفيقه السيد

السباعي المذكور أنه كان قبل أخذه عن الشيخ رضى الله عنه يقرأ على هذا الشيخ

الشيخ

صاحب الترجمة بالمسجد الأعظم بفاس العليا فلم يلبثوا ذات يوم أن دخل الشيخ
رضي الله عنه عليهم ومعه بعض أصحابه فقام رضي الله عنه إلى صارية يصلي تحية
المسجد والشيخ سيدي عبد الرحمن ينظر وربما شغل بالنظر إليه عن بعض ما يقرره
لهم فلما رأى الشيخ رضي الله عنه سلم من صلاته قطع القراءة وقال لتلامذته قوموا
بنا نتبرك بهذا الشيخ فقاموا مسرعين له وهم يعتقدون أنه لا يبلغ درجته في العمل
والعلم لجلس بين يدي الشيخ رضي الله عنه بأدب ووقار وطلب منه الدعاء له
واتلامذته فاستمعوه بذلك ثم سأله عن بعض ما كان أهمه من المسائل فأجابه سيدنا
الشيخ رضي الله عنه بما تبين به الحق والصواب ثم أمره أن يرجع إلى محل درسه
ويكمل نصابه ولما اذعن الشيخ رضي الله عنه وقضى الفقيه درسه قال له السيد
السباعي ياسيدي والله ما اتخذناك شيخا وقهرنا النظر عنك إلا لتيقننا أنه لا أحد
أعلم منك في مغربنا ثم إني كنت إلى هذا الرجل الصحرأوي المعصب رأسه بخيط
وبر الأبل فسألته عن تلك المسائل ثم أذعنت لجوابه فقال له امسكت يا بني فوالله
الذي لا إله إلا هو ما أعلم على وجه الأرض أعلم منه وهذه المقالة كانت سبب تعلق
قلب السيد السباعي بجانب الشيخ رضي الله عنه حتى أخذ عنه رضي الله عنه ، وقد
قدمنا تاريخ وفاته في طالع الكتاب .

وحدثني بعض الأصحاب من المتبرزين في العلم والفضل أن سبب مرض هذا
السيد الذي توفي منه أن بعض أهل فاس كانت عنده دعوة فدعاه من جملة من دعاه
من العلماء والأماثل فباثوا عنده فلما كانوا في أثناء الليل أخذوا يتذاكرون أخبار
صلحاء الوقت فتناول بعضهم جانب الشيخ رضي الله عنه بشيء من الإنكار وسأده
بعض الحاضرين على ذلك وهذا السيد سيدي عبد الرحمن مستحضر للجواب عن
ذلك فلم يرد عليهم بشيء فأخذته سنة في تلك الحال فرأى الشيخ رضي الله عنه وكأنه
انقض عليه من الهواء فقال له مالك لم تتكلم وما تصنع ها هنا ثم أخذه بقوة وصعد
به في الهواء فانتبه مرعوبا وأحس بألم في ذاته من حينه فكان ذلك سبب مرضه
الذي توفي منه ولما احتضر كان يحدث بذلك تزيها للغير وتنويفا بشأن الشيخ
رضي الله عنه وفي هذا القدر الذي ذكرناه على قوله وغيرهم من علماء السنة الخ
كفاية والله المستعان انتهى

ومنهم المقدم البركة الفقيه السيد عثمان الفلاني الاكثاري أخذ عن سيدنا
رضي الله عنه الإذن في الطريق وتلقينها لطلابها مع قبولهم للشروط المقررة لما توسمه
فيه سيدنا رضي الله عنه من أمارات الخير والصلاح حيث شملته العطفة التجانية
ودعاه داعي الفلاح للدخول فيها ، ولم يزل رحمه الله مواظبا على الذكر آتاء الليل
وأطراف النهار وتلقينه لما يتلقاه من الأسرار إلى أن توفي رحمه الله في قرية كيميد
بالسودان وليس له عقب رحمه الله كما حدثني بذلك بعضهم .

مولاي أحمد بن عبد السلام الفلالي الودغيري

ومنهم البركة الجليل القدر نير القلب ومشرح الصدر العارف الأكبر والولي
الأشهر ذو الكرامات العديدة والأخلاق الحميدة الشريف الأصيل مولاي أحمد بن
عبد السلام الفلالي الودغيري ، هذا السيد من خاصة الخاصة من أصحاب سيدنا
رضي الله عنه الذين يقومون مقامه في أجوبة الرسائل وإنشاءاتها في المحافل ، وكان
عند سيدنا رضي الله عنه محبوبا محبة خاصة يغبطه فيها العامة والخاصة ، وهو أحد
الخاصة الذين غارت مرتبة العلامة سيدي محمد بن المشري رضي الله عنهم من مراتبهم
العالية وأراد أن يتصرف فيهم فوق بيته وبينهم ما وقع .

وقد حدثني سيدي ومولاي أحمد العبد لاوي نفعتني الله به أن سيدنا رضي الله
عنه أمر سيدي الحاج علي حرازم رضي الله عنه أن يتشفع للنبي صلى الله عليه
وسلم بسيدنا إبراهيم عليه السلام في مسامحة الفقيه سيدي محمد بن المشري عما صدر
منه فتشفع له به في مشهد رآه فيه مضمنه أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في قبعة
خضراء تتلألأ بالأنوار ومن جملة من معه في تلك القبعة سيدنا إبراهيم عليه السلام
فلما رآه سيدنا إبراهيم عليه السلام علم مطلوبه فتقدم سيدنا إبراهيم عليه السلام إلى
النبي صلى الله عليه وسلم وتشفع فيه فقبل شفاعته وقال له لولا أنك (أبي) مسامحته
ولكن يأمره بالخروج من البلدة التي هو فيها برفق ولين إلى آخر المشهد ثم بعد
ذلك وقفت على هذا المشهد وهو طويل تركنا نقله هنا باللفظ قصدا للاختصار
وصاحب الترجمة مدفون بتونس وقبره بين الأصحاب هناك مشهور بتبرك به اه

وقد وقفت في كناش سيدي الحاج علي حرازم رضي الله عنه الصغير والكبير

هل تقييد له جمع فيه بعض ما تلقاه عن سيدنا رضى الله عنه من مقالاته الشريفة
الدالة على علو مقامه واختصاصه بالختمية نذكره هنا تكميلاً للفائدة ونصه بعد البسملة
والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين
وعلى آله وصحبه أجمعين .

اعلم أرشدني الله وإياك لما يحبه ويرضاه وألهمني وإياك للصواب والتوفيق في
كل أمر قدره وقضاه ورزقنا التسليم لكل أبواب وأه ان الإمام الهمام قدوة الأنام
وحجة الاسلام سلاله الأشراف الكرام ونخبة الفضلاء الأعلام العارف بالله
أبا العباس سيدنا ومولانا أحمد بن محمد بن سالم التجاني الشريف الحسنى هو القطب
المكتوم المعلوم الذي أخبرت به أكابر الأولياء وتحدثت به في كل زمان وفي كل
مجمع من جموعها ونمى كل واحد منهم أن يكون هو ذلك القطب الشيخ الأكبر ابن
العربي الحاتمي والشيخ مصطفى وغيرهما من الأكابر رضى الله عنهم وذلك أن ابن
العربي الحاتمي رأى مقاما فاق كل مقامات الأقطاب ولا فوقه إلا مقامات الأنبياء
والرسل عليهم الصلاة والسلام فظن أنه له وإطمأنت نفسه به غاية الإطمئنان وفرح
به كل الفرح وأنشد :

بنا ختم الله الولاية فأنهت
وما فاز بالختم الذي لمحمد
إلينا فلا ختم يكون لها بعدى
من أمته والعلم إلا أنا وحدي

فبينما هو كذلك إذا بمناد يقول ليس لك ما ظننت وتمنيت وإنما هو لولى في
آخر الزمان ليس ولى أكرم على الله منه ، قال فعند ذلك سلمت الأمور إلى خالقها
ومكونها ولقد طال ما جلست بصيرتى في الغيوب لأطلع عليه وعلى مقامه واسمه
ونسبه وبلده وكيف حاله فما أطلعنى الله على شيء منه ولا شئمت له رائحة أصلا .

وأما سيدنا رضى الله عنه فقال أخبرنى سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بأننى
أنا القطب المكتوم منه إلى مشافهة لا مناماً اه . فقلت له وما معنى المكتوم
فقال لى رضى الله عنه هو الذى كتبه الله عن جميع خلقه إلا سيد
الوجود صلى الله عليه وسلم فإنه علم به وبخاله ، وقال رضى الله عنه نسبة الأولياء
إلى القطب المكتوم كنسبة القمر إلى الشمس وهو الذى حاز جميع ما عذر الأولياء

من الكمالات الإلهية والأسرار الربانية واحتوى على جميعها وأكبر من هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن لله ثلاثمائة خلق من تخلق بواحدة منها أدخله الله الجنة وما اجتمعت في نبي ولا ولي قبله إلا فيه صلى الله عليه وسلم وفي الأقطاب الذين بعده إلى الحجة العظمى ابن العربي الحاتمي رضي الله عنه إذ قال بنسختم الله الولاية فانتهدت البيتين وأما الوصف والنعته فلا يعد فيها شيئاً.

واقعد قال لي سيدنا رضي الله عنه ما كشف الله لأحد من الأنبياء والأولياء هن بواطنها وأسرارها وخبائياها وعلومها إلا لسيد الوجود صلى الله عليه وسلم وأنا معه حمداً وشكراً لله وأما غيرنا فيعلم ظواهرها فقط ، وهو الذي قال إن الفيوض التي تفيض من ذات سيد الوجود صلى الله عليه وسلم تتلقاها ذوات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وكل ما فاض وبرز من ذاتهم بتلقاها ذاتي ومنى يتفرق على جميع الخلائق من نشأة العالم إلى النسخ في الصور ولي علوم خصصت بها بيني وبينه بلا واسطة لم يكن لأحد بها علم ولا شعور إلا الله عز وجل

وقال رضي الله عنه أنا سيد الأولياء كما كان النبي صلى الله عليه وسلم سيد الأنبياء

١٠٠ نقل عن جماعة من العارفين من سلف الأمة ما يوههم شفوف مرتبتهم على بعض النبيين عليهم الصلاة والسلام ، وقد اتفقت كلمة الأولياء على أن ذلك الكلام مؤول لا يؤخذ على ظاهره وقد نقل ميسدي الشيخ أحمد التجاني رضي الله عنه بعض هذا الكلام فوجه تأويله وصرح بأن الولي لا يصل إلى مرتبة نبي في العلوم الإلهية فقد يعلم ما لا يعلم النبي في العلوم الكونية وضرب مثلاً لذلك بسيدنا موسى والخضر عليهما السلام ، وقد رجح المحققون من الأولياء أن الخضر ولي وليس بنبي وأن سيدنا موسى لو علم أنه نبي لما اعترض عليه ولما قال له لقد جئت شيئاً نكراً . لقد جئت شيئاً إمرأياً وعلى هذا يؤول كلام الشيخ رضي الله عنه فقد قال: إذا سمعتم عن شيئاً فزنوه بميزان الشرع فإن وافق فاعملوا به وإن خالف فاتركوه ، قاله حين سئل أبكذب عليك قال نعم فما لم يوجد له توجيه يتفق مع القواعد العلمية نعلم أنه لا يصح عنه رضي الله عنه .

فلا يشرب ولي ولا يسقى إلا من بحرنا من نشأة العالم إلى النفخ في الصور ١٠، وهو الذي قال أنا الذي إذا كان يوم القيامة ينادى مناد في الموقف يا أهل الموقف هذا إمامكم الذي كان مددكم منه من نشأة العالم إلى الآن وهو الذي قال إن جميع الأولياء كلهم يدخلون زسرتنا ويتمسكون بطريقتنا ويأخذون أورادنا من أول الوجود إلى يوم القيامة وإن المهدي رضى الله عنه يأخذ عنا إذا قام آخر الزمان بعد مائتنا وانتقلنا من دار الفناء إلى دار البقاء وهو الذي قال أنا ذنب الجوزهر ينحل كل من قاربنى من الأولياء الصغار والكبار ، وهو الذي قال أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة تسمى جوهرة السكال كل من ذكرها اثنتي عشرة مرة على وضوء وطهارة بدنا وثوبا ومكانا وفراشا ، وقال : هذه هدية لك يا رسول الله فكأنما زاره في روضته الشريفة وكأنما زار أولياء الله الصالحين من أول الوجود إلى وقته ذلك فهذا سبب قطع الزيارة عن كافة أصحابه بحيث لا يزور أحدا من ساداتنا الأولياء رضى الله عنهم إلا سيد الوجود صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وكل من زار وليا من الأولياء انقطع الحبل بيني وبينه فلا هو بنا ولا هو بذلك نعوذ بالله من الشكوك والظنون .

وقال رضى الله عنه لا مطمع لأحد من الأولياء في مراتب أصحابنا حتى الأقطاب الكبار مما عدا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما أنا إلى عليهم الحرمة الدائمة ١١، ذكر سيدى عمر بن سعيد الفوقى هذا الكلام وبين معناه أن هذا من العام الذى أريد به الخصوص ولا يتوجه إلى الصحابة رضى الله عنهم ، إذ قد صرح أن الصحابي أفضل من غيره ولو بلغ ذلك الغير ما بلغ في المعرفة بالله تعالى وضرب رضى الله عنه مثلا لعمل الصحابة مع غيرهم بمشي النملة مع سرعة القطا ، ومقام الشيخ رضى الله عنه في العلم وفي الدين مما يحول بيننا وبين إرسال العبارة على ظاهرها وكلامه رضى الله عنه : إذا سمعتم عنى شيئا فنوه بميزان الشرع ثابت ، وهذا الكلام المبارك كما فتح لنا باب رفض ما لا يتفق مع الشرع مما يؤثر عن الشيخ فتح لنا باب حمل كلامه على ما يناسب الشرع لأنه رضى الله عنه تبرأ مما يخالف الشريعة انتهى ملخصا من رسالة إichام الخصم الملد للدفاع عن الشيخ المعتمد للإمام العلامة أبى طاهر المغربي التجاني آل أبى القاسم طبع تونس سنة ١٣٤٧ هجرية . المصحح

والعلو السكامل في الدنيا والآخرة لا من كبر شأنه ولا من صغر ، وهو الذي قال
إن أصحابنا لا يدخلون المحشر مع الناس ولا يرون محنة ولا مشقة من المات إلى
الاستقرار في عليين بجوار المصطفى عليه الصلاة والسلام ، وهو الذي قال أعطاني
الله في الجنة مقام أربعين نبيا لم تعط لغيرنا قط (١) ، وهو الذي قال كل الطرق تدخل
في طريقة الإمام الشاذلي رضي الله عنه إلا طريقتنا لأنها مستقلة بنفسها
ولاجل أنها محمدية إبراهيمية حنيفية أعطاهما منه إلهنا وقال لي لا يملك
شيء إلا على يدي ، وهو الذي ربانا وسلكنا حتى بلغنا المني حمدا وشكرا
لله ، وقال رضي الله عنه لو بحث بما علمه الله لي لأجمع أهل العرفان على قتلي (٢) ،
وأما ما أعده الله لأصحابنا من الفوز الأكبر فلا يظهر إلا يوم القيامة ، وقال رضي الله
عنه إن صاحبي لا تأكله النار ولو قتل سبعين روحا إذا تاب بعدها لأن قدرة الله
صالحة لكل شيء ، وقال رضي الله عنه ليس لأحد من الأولياء أن يدخل كافة
(١) أي بطريق الوراثة والعلماء ورثة الأنبياء

(٢) قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني في كتابه : الجواهر الدرر ، تحت عنوان
ماس ما نصه : سألت شيخنا رضي الله عنه عن قول الجنيد رضي الله عنه : لا يبلغ
الرجل درج الحقيقة حتى يشهد فيه ألف صديق بأنه زنديق . ما المراد بدرج الحقيقة
قال رضي الله عنه : درج الحقيقة هو زوال هذا الوجود في الشهود فإنه إذا شهد هذا
المشهد لا يصير يرى إلا الله ، وإذا لم ير إلا الله فما يدرى ما يقول فلا يسع الصديق
إلا أن يرميه بالزندقة غيرة على شريعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فالمراد
بالصديق هو من سلك طريق الشرع على التمام والسكال ولذلك صحت منه الغيرة على
الشريعة وعادى من شطط عنها من أهل الوحدة انتهى باختصار ونحو هذا قال
الشيخ سعد الدين في شرح المقاصد رحمه الله :

السالك إذا انتهى في سلوكه إلى الله تعالى وفي الله سبحانه يستغرق في بحر
التوحيد والعرفان بحيث تضيع ذاته في ذاته وصفاته في صفاته ويغيب عن كل
ما سواه ولا يرى في الوجود إلا الله سبحانه وتعالى ، وهذا الذي يسمونه الفناء في
التوحيد وإليه يشير ما في الحديث الإلهي من أن العبد لا يزال يتقرب إلى بانوافل
حتى أحبه فإذا أحبه كمن سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به وحينئذ —

أصحابه الجنة بغير حساب ولا عقاب إلا أنا وحدي ولو بلغوا ما بلغوا من الذنوب وعملوا ما عملوا من المعاصي (١) وأما سائر ساداتنا الأولياء رضى الله عنهم فيدخلون الجنة أصحابهم بعد الحساب والمناقشة إلا من من الله عليه بفضله . وقال رضى الله عنه أعطاني الله الشفاء في عصرى أشفع في أهله إلا من أبغضنا فلا يموت إلا كافرا ولو حج وجاهد فهذا كله من سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بوعده صادق .

وقال رضى الله عنه قال لى سيد الوجود صلى الله عليه وسلم أنت حبيبى وكل من أحبك حبيبى ، أنت من الآمنين وكل من أحبك من الآمنين وأصحابك أصحابى وفقرائك فقراي وتلامذتك تلامذتى . وقال رضى الله عنه قال لى سيد الوجود صلى الله عليه وسلم كل من نظر فى وجهك يوم الجمعة ويوم الاثنين دخل الجنة بغير حساب . وقال رضى الله عنه كل الطرق تدخل عليها طريقتنا فتبطلها لأن طابعنا يركب على كل طابع ولا يحمل طابعنا غيره .

وقال رضى الله عنه من ترك ورذا من أوراد المشايخ لأجل الدخول فى طريقتنا هذه المحمدية الإبراهيمية الحنفية آمنه الله فى الدنيا والآخرة فلا يسوءه شيء أبدا وهذا بوعده صادق منه صلى الله عليه وسلم منه إلينا وأن كل من دخل فى زمرةنا وخرج منها إلى غيرها طرده الله من حضرته وسلمه ما منحه من محبتنا ويموت كافرا والعياذ بالله من مكر الله ولا يفلح أبدا ولا ينفعه ولى من الأولياء كائنا من كان . وقال رضى الله عنه أعطاني الله فى السبع المثانى ما لم يعطه إلا للأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

— ربما تصدر عنه عبارات تشعر بالحلول والاتحاد لقصور العبارة عن بيان ملك الحال وتعذر الكشف عنها بالمقال اه ومن الأوليات أن الحق سبحانه منزلة عن الحلول والاتحاد ولكن الحق سبحانه يمد العبد بفرقان ونور فى سمعه وبصره وعقله وجوارحه ، وقد يذهل العبد من شدة التجلى والفرح بالمنعم سبحانه وتعالى وقد بين حجة الإسلام أبو حامد الغزالي ذلك أيضا فى كتابه المنقذ من الضلال فما نقل عن الشيخ التجانى رضى الله عنه نقل مثله عن الجنيد وغيره ممن أجمع على فضائلهم ومعرفتهم فليسمع الشيخ ما وسع مقدم طائفة الصوفية وغيره من العلماء والعارفين .

(١) فقد سأل الله عز وجل أن لا يموتوا إلا على التوبة والولاية

وهو الذي قال أعطاني الله من الاسم الأعظم أربع كيفيات واحدة منه صلى الله عليه وسلم وهي المخصوصة بمقامه وواحدة من سيدتنا على كرم الله وجهه وواحدة من الغيب وواحدة من بعض الرجال .

وقال رضى الله عنه كل أعمار الناس ذهبت بجاننا إلا أعمار أصحاب الفاتح لما أغلق فإنها فازت بالربح دنيا وأخرى ، ولا يتصل بها إلا سعيد من الناس .

وقال رضى الله عنه ما توجه متوجه إلى الله عز وجل بأفضل منها ولا أعظم عند الله منها حضرة اه لأنها كلام الذات المقدسة ليست من تأليف المخلوقين وتسمى بالياقوتة الفريدة وتسمى بالبكرية لأنها أعطيت له من الغيب وبين شيئا من خواصها وأخرها الله تعالى حتى أخرجها على يدى القطب المكتوم ولا علم لأحد بها إلا سيد الوجود صلى الله عليه وسلم علم بها وأمر بكتمتها فلا علم لهم بها فلو أخبر بها سيد الوجود صلى الله عليه وسلم أصحابه ما اشتغلوا بغيرها لما فيها من الأسرار التى لا يقاس لها حد (١) .

وهذه الصلاة والسيفي يغنيان عن الأذكار حيث كانت وإن المرة الواحدة منها فدية من النار وأن من ذكرها مرة واحدة يغفر الله له ذنوبه ولو كانت في عمره مائة ألف سنة ، وإن المرة الواحدة منها بأربعمائة غزوة كل غزوة بأربعمائة حجة وإن ذاكرها يعطى ثواب كل ذاكر في الكون بأضعاف مضاعفة قليل أو كثير وإن المرة الواحدة منها تعدل مائة ألف صلاة من مطلق الصلوات من صلاة كل ملك وصلاة كل أنس وصلاة كل جان . وقال رضى الله عنه ما أعد الله تعالى لذاكر صلاة الفاتح لما أغلق من الفضل العظيم لا يحل لى ذكره ولا يظهر إلا في الدار الآخرة . وإن أردت البحث فيما فعليك بكتاب سيدتنا رضى الله عنه المسمى بروض المحب الفاني في مناقب الشريف التجاني ومؤلفه الفقيه سيدى محمد بن المشرى رحمه الله .

وأما السيفي فله ستون كرامة ومن جملتها أن من كتبه وعلقه عليه يعد من الذاكرين الله كثيرا وإن لم يذكره حامله لا يخاف من شيء على وجه الأرض ، من ذكره مرة يعطى عبادة سنة وأن روح حافظه تخرج كالنوم وإن الله عز وجل يقبض روح قارئه بيده ولا يوكله إلى عزرائيل عليه السلام فانظر أخى رحمك الله إلى هذه

(١) صلاة الفاتح موجودة قبل الشيخ رضى الله عنه ورويت عن سيدتنا على كرم الله وجهه فلا بد من توجيه لما هنا وهنا كلام مدرج ليس من كلام الشيخ اه المصحح

الجواهر النفيسة والمنح العظيمة كيف يلتفت إلى غير من أعطيت له جعلني الله وإياك من المقيمين في هذه الزمرة المحمدية الشريفة التي منحناها آخر الزمان عند انقطاعه وانصرامه وأمانتنا على محبته بجاه مولانا محمد صلى الله عليه وسلم . انتهت هذه الرسالة المباركة .

والعل صاحب الرماح قدس الله روحه وقف عليها فأدرج جملها فيها والله أعلم
المقدم سيدي محمد بن العباس السمعوني

ومنهم المقدم في حلقات المكرمات لنيل أعلاها البركة الأجل سيدي محمد بن العباس السمعوني أحد الخاصة من المقدمين لتلقين أوراك هذه الطريقة المحمدية في زمن سيدنا رضي الله عنه ، وكان عند سيدنا رضي الله عنه بمكانة يلاحظ بعين التعظيم مكانه ، لما فيه من صدق المحبة والوداد ورسوخ القدم في هذه الطريقة التي فيها رشاد العباد ، وهو أحد الأفاضل الذين زاحت مرتبتهم رتبة العارف بالله سيدي محمد ابن المشري رضي الله عنه وحصل لكل واحد منهما غيرة مفرطة ومناقسة كبيرة حتى أدى الحال بين الإخوان في أبي سمعون أن انقسموا فرقتين ، ولما بلغ الخبر لسيدنا رضي الله عنه سألهم عن سبب ذلك ، فقالوا له إن صاحب الترجمة يغار من ابن المشري وابن المشري يغار منه ، فسرت الغيرة لأصحاب كليهما ، فقال لهم سيدنا رضي الله عنه أصحابي كلهم واحد ومن يعرفني يعرفني وحدي ، فحينئذ صار الإخوان على قلب رجل واحد وانتفت تلك الغيرة عنهم .

وهذا ونحوه وإن كان في الظاهر فيه شيء من حظ النفوس لكن في الباطن ما فيه إلا ظهور سر التربية والتقلد بوشاح الخلافة السرية فليحذر المشفق على نفسه من سوء الظنون فيهم ، واعلم أن أهل سمعون كلهم وقاهم الله في الدارين من الشجون لهم شديد المحبة في جناب سيدنا رضي الله عنه حتى أن سيدنا رضي الله عنه لما سافر من ناحيتهم أرادوا كلهم أن يسافروا معه وأن يتركوا موطنهم من أجله وأن لا يعمرُوا إلا المحل الذي يحل فيه فقال لهم سيدنا رضي الله عنه ما معناه : اعلموا أن كل ولي لا يخرج من محل إلا إذا تغير قلبه على أهل ذلك المحل وأنتم وإن خرجت من عنديكم فليس لهذا المعنى وإنما هو لأمر آخر فانكم بكمبيركم وصغيركم محبون لي وأنتم عندي محبوبون فلو أنكم كلكم كنتم في قفة بلاعروتين لرفعتمكم

بين يدي وجزت بكم على الصراط ثم أمرهم بالإقامة في محلهم فامتلأوا أمره قدس
الله سرهم وأسبل عليهم وعلى أمثالهم ستره انه ولي ذلك .

أحمد بن عبد الرحمن السمغوني

ومنهم الولي الكامل والعارف الواصل البركة الأجل السيد أحمد بن عبد الرحمن
السمغوني أحد الخاصة من أصحاب سيدنا رضي الله عنه الذين سلبوا إليه الإرادة
حتى صعد في ذروة المجادة وكان رحمه الله ذا جود واجتهاد في سلوكه نهج الرشاد ذاهمة
علية ونفس أبيه لا ترضى بسفاسف الأمور ويحب معالي الأشياء في الغيبة
والحضور وكان معظما عند العامة والخاصة وقد حدثني سيدي ومولاي العارف
بربه أحمد العبد لاوي نفعا الله به أن صاحب الترجمة تلاقى مع الخليفة الأكبر
سيدي الحاج علي التماسيني بأبي سمغون وتكلم معه في شأن أولاد سيدنا رضي الله
عنهم حتى قال له ان أولاد سيدنا رضي الله عنه لا يأتى بهم أحد من فاس ولا يحبون
الخروج منها إلى الصحراء فيما أظن إلا بسر فقال له سيدنا الحاج علي رضي الله عنه
لاني سأتي بهم بالسر وستنظر ذلك ثم قدم سيدنا الحاج علي رضي الله عنه لفاس
فوجد أولاد سيدنا رضي الله عنهم في ضجر وقلق مما حصل لهم فأخذهم وارتحل بهم
بعد أن وقع بينه وبين أصحاب سيدنا رضي الله عنهم القاطنين بفاس كلام في عدم
تركهم أولاد سيدنا رضي الله عنه للسفر معه حتى أدى الحال بهم إلى رفع أمرهم
إلى أمير الوقت مولانا سليمان قدس الله روحه في الجنان فقال فقراء فاس أن أولاد
الشيخ رضي الله عنه ازدادوا بفاس وهي مقرهم فلا يخرجون منها . وقال سيدنا
الحاج علي قدس سره أن أصلهم من عين ماضى ومدد هم ايس بهذه البلد بل هو في
الصحراء إشارة لقول سيدنا رضي الله عنه أولادى لا تليق بهم إلا الصحراء
يصلحون فيها ويعيشون فحكم الحاكم لسيدي الحاج علي رضي الله عنه بالسفر بهم
على شرط رضا أولاد الشيخ رضي الله عنه بذلك ثم وقع الصلح بين سيدنا الحاج
علي رضي الله عنه وبين الفقراء ، ومن جملة ما طابوه به قولهم نحبك أن تخبرنا
بالواحد الذي أخبر به سيدنا رضي الله عنه أن ظهر في هذه الطائفة الحمديّة بعد أن
ذكر سيدنا رضي الله عنه أن طائفة من أصحابه رضي الله عنهم لو اجتمعت أقطاب
هذه الأمة ما وزفوا شعرة من بحر أحدهم وان هذا الواحد قد ظهر وأخبر أنه فاسي

أما وأبا ولم يعينه رضى الله عنه بل أخفاء غاية فقال لهم سيدنا الحاج على رضى الله
 عنه وماذا تفعلون به إذا أريتكموه فقالوا له نعظموه ونمثله لما يأمرنا به فقال لهم
 رضى الله عنه وهل هو إلا خديم لسيدنا رضى الله عنه وأولاده فقالوا له نعم فقال
 لهم يكفيناكم تعظيمهم وامثال أمرهم أولى لما فيه من امثال أمر الشيخ رضى الله
 عنه وهم يأمرونكم بترك المخاصمة في شأن سفرهم إن أردتم رضا الله برضى الشيخ
 رضى الله عنه فعندئذ رجع فقراء عن المعارضة لهم في السفر فسافر سيدنا الحاج
 على رضى الله عنه بأولاد سيدنا رضى الله عنه بعد أن تركوا كل عين باكية لفراقهم
 وقلوب الفقراء مضمرة نيرانها بأشواقهم والناس متعجبون في سفر أولاد الشيخ
 رضى الله عنه بعد ما كانوا يعتقدون استحالة وقوعه ، وفي ذلك ظهرت كرامتان
 الأولى لسيدنا رضى الله عنه فإنه أخبر رضى الله عنه بأن أولاده لا تليق بهم إلا
 الصحراء يصلحون فيها ويعيشون والبنت لا تليق بها إلا الحاضرة قال في الإفادة
 الأحمدية سيده أن بعض الأحباب عرض عليه بنته لولده سيدى محمد الحبيب فتعلل
 بذلك وما تمت السنة حتى كانوا قاطنين بها .

والكرامة الثانية لسيدنا الحاج على رضى الله عنه فإنه قد أخبر صاحب الترجمة
 بأنه سيأتى بهم بالسر وقد أتى بهم للصحراء كما قال رضى الله عنه .
 فائدة : حدثني أخونا سيدى محمد العبد لاوى حفظه الله ورعاه أنه سأل الولي الصالح
 سيدى العربى بن السائح رحمه الله ورعاه عن هذا الرجل الفاسى الذى أخبر به سيدنا
 رضى الله عنه فقال له رضى الله عنه ليس المراد به أنه فاسى البلد بل المراد بالأم
 الطريقة وبالأب روحانية سيدنا الشيخ رضى الله عنه انتهى
 أقول وقد بسط القول على نحو مانحن فيه في كتابه لبقية عند قول المنية في
 تعداد فضائل سيدنا الشيخ رضى الله عنه .

أقطاب أمة النبي المتبع	طائفة من صحبه لو اجتمع
منها فكيف بالإمام الفرد	ما وزنوا شعرة من فرد
من هذه الطائفة العلية	جعلنا من خلق البرية
من صحبه أكثر من ستائة	وعنه في عدد هذا الفئة

فلينظره من أراد الله الموفق ، وسيأتى لنا إن شاء الله في بعض التراجم

بزيادة إيضاح في سبب سفر أولاد سيدنا رضى الله عنهم .
السيد أبو القاسم بن يحيى السمعوني

ومنهم البركة الأجل والفاضل الأكمل محب سيدنا رضى الله عنه وحبيبه وصديقه الخاص
سیدی ابي القاسم بن يحيى السمعوني أحد خاصة الخاصة من أصحاب سيدنا رضى الله
عنه وقد كان عند سيدنا رضى الله عنه بمكانة رفيعة ولقد لقنه من الأسرار والمعارف
ما يهر العقول وقد أذن له سيدنا رضى الله عنه في الاسم الأعظم وجميع ما انطوى عليه
من اللطائف العرفانية وقد وقفت على رسالة منقولة من خط سيدنا رضى الله عنه بعثها
إصاحب الترجمة ونصها بعد البسملة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بحمد الله
يصل الكتاب إلى يدى صديقنا وحبيبنا وأعز الناس علينا سيدى ابي القاسم بن
السمعوني السلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته وعلى أمك وعلى أهلك وعلى
أولادك ، من كاتبه إليك محبك ومريد الخير كله إليك عبد الله أحمد بن محمد التجاني
وبعد فقد بلغنى كتابك وقرأته وذكرت فيه أنك تسأل منى الدعاء وما أنا بأهل
لذلك ولكن أسأل الله بحاجته صلى الله عليه وسلم أن يغفر لك فى بحر عنايته ومحبه
لك فى الدنيا والآخرة آمين ، وأذكى كتبت لى تشكو من النوم ، فاعلم أيها السيد أن
النوم إذا كثر سببه اثنان ، الأول : دوام الغفلة عن ذكر الله بالقلب ، والثانى :
كثرة الأكل والشرب إلى حد الشبع مادام هذان السببان لا بد من كثرة النوم ،
ومن أراد خفته فعليه باستعمال الذكر فى بعض الأوقات وعليه بقلة الأكل والشرب
ينحرف عليه النوم ، وأما الاحتلام فداوم عند نومك لقراءة السماء والطارق إلى
ولا ناصر إلا أنا ، ثم اكتب على نخذك الأيمن بأصبعك آدم وعلى الأيسر حواء بغير
مداد تنج من الاحتلام ، وأما ما ذكرت لى من طلب نفي الفقر وما معه من المطالب
فالأسم الذى كتبت لك أولا يكفيك لكل مطلب تريده ، وأما ما ذكرت لى فى شأن
ولدى فترانى أبعث لك حجـابا له واكتب له سورة يس فى اناء وأعطه يشرب
ماءها للحفظ والسلام اهـ

السيد بلقاسم بدوى

ومنهم البركة الفاضل والمجد الكامل ذو الفتح المبين والدين المتين السيد بلقاسم
بدوى أخذ الطريقة عن سيدنا رضى الله عنه وقد حصل له الفتح الكبير بعد وفاة

سيدنا رضى الله عنه فلم يقدر على حمل ثقله . كما قيل :

إن الفتوح هو الرحمت أجمعها وهو العذاب فلا تفرح إذا وردا
حدثني سيدى ومولاي أحمد العبد لاوى رضى الله عنه أن المقدم سيدى عبد الله
السوفى كتب إلى القطب سيدى الحاج على التماسينى رضى الله عنه أن يمكن صاحب
الترجمة من السر ولما لقنه بعض الأذكار الخصوصية وطراً الفتح عليه لم يقدر عليه
حتى أنه كان إذا اعتراه ذلك ينزع عنه ثيابه ويذهب مجرداً عن الثياب والناس
ينظرون فنزج إلى سيدى الحاج على رضى الله عنه وطلب منه أن يرفع عنه ما نزل
به فقال له إن الطعام إذا دخل للبطن لا يخرج على حالته الأولى فصار يتملق بين
يديه لأجل ذلك فقال له إن كان ولا بد فلا تبج بما رأيت ثم كتب له حرزاً وأعطاه
إليه وأمره بترك تلك الأذكار الخصوصية التى كان لقنها له فامتنثل لأمر فشفاه الله
من عظيم ما نزل به وقد صدق القائل :

لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيتها

سيدى محمود بودوايه

ومنهم البركة المبجل والفاضل الأجل ذو الخلق الجميل والقدر الجليل أبو عبد الله
سيدى محمد من أولاد سيدى بودوايه من أولاد العارف بالله المشهور سيدى الشيخ
كان رحمه الله من خاصة أصحاب سيدنا رضى الله عنه القاطنين بالصحراء وكان عند
سيدنا رضى الله عنه بمكانة من المحبة لصفاء طويته بإعطاء المرتبة حقها بين أهل
القرابة فى الصحبة وقد كان هو مستغرقاً فى محبة سيدنا رضى الله عنه بحيث لا يملك
لنفسه مثقال ذرة إلا أسلمه فى مرضاة سيدنا رضى الله عنه .

ولده السيد بوزيان

ومنهم ولده ذوالسر الباهر والفتح الظاهر واسنة عقد أهل الصلاح ومفتاح
الخير والنجاح أبو عبد الله سيدى بوزيان كان عند سيدنا رضى الله عنه محبوباً مقرباً
وقد حصل له قيد حياة سيدنا رضى الله عنه الإذن فى بعض الأسرار الخصوصية
مع حداثة سنه فلم يقدر على حبس نفسه عن كتمانها بل صار يتصرف بالجلال فى
كل من لم يقدر قدره فسلبه من التصريف بذلك سيدنا رضى الله عنه فى ذلك الحال
حتى بلغ أشده وحاز رشده

وحدثني سيدي ومولاي أحمد العبد لاوي نفعني الله به أن والد صاحب الترجمة هو السبب في نيل ولده المذكور ما ذكرناه وذلك أنه أتى به إلى سيدنا رضى الله عنه في مدينة فاس وطلب منه أن يلقنه السر فقال له سيدنا رضى الله عنه أنه صغير وأخاف عليه بأن لا يقدر على حمله فقال له ياسيدي لا بد من ذلك ، فأمره سيدنا رضى الله عنه أن يذهب إلى بعض الأرياء في البرداعين قرب باب عجيسه فهو يلقنه له ، فلما ذهب إليه انتهض في وجهه ذلك السيد وقال له رح لحال سبيك فقال له أن الشيخ سيدي أحمد التجاني هو الذى أرساني إليك فقال اذهب إلى توات بالمحل القلاني عند فلان فإنه يعطيك إياه . ثم إن سيدنا أوصاه على أصحابه التجانيين وحذره من إذابة أحد منهم أينما كانوا وأن لا يتعاضى إظهار الكرامات فلما ذهب إلى ذلك الولي الذى بتوات وتلاقى معه وجده على الهيئة التى وصفها له ذلك الولي فطلب منه السر فانهض فيه فقال له إني أريدك بإذن شيخنا سيدي أحمد التجاني فقال له افتح فاك فلما فتحه نفخ له فيه فأنكشف له الحجب فى ذلك الوقت ورأى ما رأى وأوصاه على كتمان أمره وأن يحفظ الناس من شره وأن لا يؤذى أحدا من أصحاب سيدنا رضى الله عنه . ثم إنه لم يحافظ فى ذلك الوقت على ما أوصاه به بل صار يظهر الخوارق واشتغل بها طول ليله ونهاره وكلما توجه لأمر ناله فى الوقت وما أشار لهلاك أحد إلا وأصيب فى الحين بالمقت وطار صيته فى الآفاق فى الميكاشفة .

ومن جملة ذلك أنه كان مع قافلة فى الصحراء واحتاج الناس إلى الماء فقال احفروا فى هذا الموضع تجدوا عينا عذبة فوجدوها كما قال لهم . ولما اشتغل بذلك وصار نابذا لما أوصاه به سيدنا رضى الله عنه رأى وهو بالصحراء سيدنا رضى الله عنه بفاس خيطا من نور خارجا من فمه وحل بيدي سيدنا رضى الله عنه وهو يراه فلما انقضى خروج ذلك النور من فمه ارتفع عنه ذلك الكشف فقال لوأله إن سيدي أحمد التجاني أخذ أمانته وتركنا بلا شيء . ثم إن والده شد الرحلة إلى سيدنا رضى الله عنه فلما اجتمع بسيدنا رضى الله عنه قال له قد قلنا لك أنه لا يقدر على حمل الأسرار فصار يتملق بين يديه ويطلب منه أن يرد ذلك ولا يعود أبدا إلى إفشاء السر فقال له رضى الله عنه أما ذلك فلا سبيل إلى

رجوعه إليه ولكنه يكون مفتاح خير إن شاء الله ، فمن ذلك الوقت صار بيده
الحل والعقد بين الترك وأهل الصحراء ببركة نظرة سيدنا رضى الله عنه إلى أن
توفي رحمه الله على أحسن حال قائما على ساق الجد في الطريقة في الإقامة والترحال اه
سيدى أحمد بن عاشور السمعوني

ومنهم العلامة الذى طار صيته في سائر الاقطار ، والفهامة الذى تفجرت من
صدره ينابيع الاسرار أبو العباس سيدى أحمد بن عاشور السمعوني . هذا السيد
الجليل كان محبوبا عند سيدنا رضى الله عنه مع صغر سنه ليكون والده كان من أخص
أحباب سيدنا رضى الله عنه ، وقد حدثني سيدى ومولاي أحمد العبد لاوى رضى الله
عنه أن صاحب الترجمة أتت به أمه بعد وفاة والده إلى سيدنا رضى الله عنه وهو
طفل صغير ليدعوه له فقربه منه ودعا له بما عاد عليه نفقه . ثم تغل سيدنا رضى الله
عنه في فمه فصار من ذلك الوقت إذا تكلم يود سامعه أن لا يسكت لما يجريه الله على
لسانه من الحكمة الربانية واللطائف العرفانية ، وكان منبععا للعلوم وكوثر ا موردا
للخصوص والعمرم ذا لهجة صادقة وهمة رائقة .

وقد كان سيدنا الحبيب ابن سيدنا رضى الله عنه ينوه بقدره ويعظمه غاية
التعظيم وأخذ عنه طرفا من علوم العبية وغيرها .

وقد حدثني سيدى ومولاي أحمد العبد لاوى ونفعني الله ببركاته أن سيدنا
الحبيب رضى الله عنه طلب من صاحب الترجمة أن ينظم نظما في وقت تعدى العدو
على أهل تلك الناحية وخروجه ليذكر بعد قراءة الوظيفة والحزب كما هي العادة
عندهم بتلك النواحي بدلا عن قراءة الآيات المشهورة وهي .

لك الحمد كل الحمد يا راحم الضعف	ويادائم الاحسان والرفق واللعطف
لك الحمد ثم الشكر دون نهاية	على نعم جللت عن العد والوصف
صرفت من الاسواء مالا يطيقه	مطيق فأنت الله ذو الكرم الصرف
وجدت وأسديت الجميل تفضلا	وزدت من الإنعام ضعفا على ضعف
لك الملك يا قهار والأمر كله	إذا قلت كن كان المراد بلاخلف
إليك مددنا الكف كي ماتمدنا	بما نرتجى يا مالك البسط والكف
فعاف ودافع وراحم يارب واكفنا	بحفظك مانحشى فقيرك لا يبكى

وأبق علينا السر في كل حالة
وصل وسلم ثم بارك على النبي
محمد المختار والفر آل
وراصل عليهم ذلك ما لا ذخائف
وما قال مرحوم على حال ضعفه
فنظم رحمه الله أرجوزته المشهور ففعها لدى الخاص والعام في الانتصار على
الأعداء والظلام ونصها كما تلغيتها من حفظه إملأ على حفظه الله تعالى
وباسم الإله ابتدى دعائي
حمدا له به عليه منه
وبالصلاة والسلام أبدا
محمد المصطفى من خلقه
والآل والصحب الكرام مادعا
يارب أسألك باسم الذات
بالأعظم الأنعم من أسمائك
وبالذي جرت به الأفلاك
أعنى اسمك الأعظم من قد قامت
أدعوك يا حي ويا قيوم
وبكتابك العزيز المحكم
وبالذي ألهته محمدا
وبالذي دعا بكل مشهد
وبالذي دعيتك رسلك وما
وبعظيم الجاه خير الناس
بك استغثنا وبك التوسل
أنت المشفع الشفيع الأعظم
يا عروتي الوثقى ويا ملاذي
يا من إليه المشتكى والمفرج

بمنك يا مولى تعالى هن الكيف
به نرتجى منك النجاة لذا الرجف
وأصحابه الأسد الغضاب لدى الزحف
به فتحلى بالأمان من الخوف
لك الحمد كل الحمد بإراحم الضعف
ومهر بي إليه والتجاني
ولا يفيض الخير إلا عنه
على الذي بعث للناس هدى
والمجتبي له من أهل قربه
داع بقلب ذي اضطرار وسعى
وبالذي حواه من صفات
وسره المكشون في عليائك
وخضعت لقدره الأملاك
به العوالم وفيه هامت
تقضى حوائجي وما أروم
وسره ونوره في العالم
من المحامد فصار أحدا
به من الأسماء والتهجد
دعت به الأملاك في كل سما
محمد وصحبه الأكياس
يا ملجأ الخائف يا مفضل
أنت الوسيلة الكريم الأكرم
لدى الشدائد وباعياذ
لدى المكاره وما يروع

العجل العجل بالإغاثة يا من له كل العلا ورائه
بك توسلنا إلى رب الورى
أنت الذى قلت وقولك الكريم
وبخليفتك ختم الأولياء
إمامنا كنز الهدى التجانى
يا أحمد التجانى يا غيث القلوب
أما ترى الضيم الذى أصابا
بك توسلنا إلى النبى
فأنت نجاة محمد سره
ألست قد أعطيت ما لم يعطى
والمهتدى لعصره من ربه
فنحمد الله على نعمائه
أنت المشفع بأهل العصر
عارى عليك يا ممد الخلق
عليك بالأعداء قد تمردوا
وصيروا الدين القويم ضحكة
إن لم نكن أهلا لأجل ظلمنا
ياربنا بأحمد التجانى
وانصر عصابة الهدى على العدا
واعف عن الذنوب يا كريم
ونجنا فى الدهر من كل الفتن
ياربنا بحماك المعظم
وأيدن بالصبر واليقين
من غير تغير ولا تزلزل
بحاء أفضل الورى محمد

يامن له كل العلا ورائه
يفرج الكرب الذى بنا جرى
توسلوا بحماهى إنه عظيم
وغوثهم طراز حزب الأصفيا
من أذعنت له ذوو العرفان
أما ترى مانحن فيه من كرب
وأنت غوث لم تزل بحمايا
وبكنا لربنا العلى
مدنا من نوره وبحسره
غير الصحابة فأنت المعطى
والمجتبى له من أهل قربه
إذ خصنا بخير أولياءه
من كل هول يحتنى فى الحشر
من بحر أحمد حبيب الحق
وجردوا سيوفهم وسددوا
وهدموا أركانه وماسكه
فخلصكم يسع سوء جرمنا
قنا الردى واعف بلاخسران
ونجنا من كل من قد اعتدى
واصفح عن الزلات يا حلیم
فى الدين والدنيا ومن كل المحن
الطف بنا فى التقدر المحتم
وبالثبات فى مقام الدين
ولا تحرق ولا تبديل
صلى عليه الله دون عدد

وَأَمْرٌ بِذَلِكَ أَيْضًا صَاحِبُ الْمَنِيَةِ قَنَظَمَ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ وَقَدْ تَلَقَّيْتُهَا أَيْضًا مِنْ حَفِظِ
سَيِّدِي أَحْمَدَ الْعَبْدِ لَاوِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَنَسَبَهَا :

لَكَ الْحَمْدُ يَا أُمَّتَهُ يَا مَنْزِلَ الذِّكْرِ عَلَى عَبْدِكَ الْمُخْتَارِ خَيْرِ بَنِي فِهْرٍ
سَمَّا وَهَدَى لِلْمُنْتَقِينَ وَرَحْمَةً وَأَمَّنَّا مِنَ الْأَعْدَاءِ قَاصِمَةَ الظُّهْرِ
بِهِ أَفْهَمَ الْخُصْمَ الْأَلَدَ وَأَذْعَنَتِ لَهُ بِلُغَاةِ الْعَرَبِ فِي كُلِّ مَادْهَرٍ
يَذْبُثُنَا أَنْبَاءُ مَا كَانَ قَبْلُنَا وَأَنْبَاءُ مَا يَأْتِي مِنَ الْخَيْرِ وَالْشَّرِّ
وَعَلَّمَنَا أَحْكَامَ دِينِ إِلَهِنَا وَيُؤَجِّرُ مِنَّا مَنْ تَلَا أَيْمَانُ أَجْرِ
وَدَامَ بِحَفِظِ اللَّهِ مَا يَهُ عِنْدَنَا فَلَسْنَا نَخَافُ الضَّلَّ عَاقِبَةَ الْأَمْرِ
كَثَلُ النَّصَارَى وَالْيَهُودِ وَمَنْ مَضَى فَبِأَوْرَاءِهَا نَأْوِرُ بِهِ مِنْ أَذَى الْمَكْرِ
وَنُحَمِّدُكَ اللَّهُمَّ حَمْدَ مُوَحِّدٍ عَلَى نَعْمٍ جَلَّتْ عَنْ الْعَدُوِّ وَالْحَصْرِ
فَلَسْنَا بِمُحَصِّمِيهَا وَكَيْفَ يَمُودُ مَا يَشَابُهُ عِنْدِي كَثْرَةُ عَدَدِ الْقَطْرِ
خَلَقْتَ وَأَرْزَقْتَ الْبَرَايَا تَكْرِمًا فَسُبِّحَانَكَ اللَّهُمَّ مِنْ خَالِقِ بَرٍّ
لَكَ الْمُلْكُ لَا لِلْغَيْرِ فِيهِ تَصَرُّفٌ وَأَنْتَ لَكَ التَّصَرُّفُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
وَمَنْ مَلَكَ الْجَنَاتِ وَالنَّارِ وَالَّذِي لَهْدَى وَهَدَى مِنْ سَعِيدٍ وَذَى خَسَرٍ
وَمَنْ بَعَثْتَ اخْتَرْتَ مَخْتَارَهُمُ لَنَا وَسَيِّدٍ مَنْ يَأْتِي إِلَى مَوْقِفِ الْحَشْرِ
حَبِيبِكَ مِنْ لَوْلَاهُ مَا خَلَقَ الْوَزَى وَمَا رَحِمُوا لَوْلَاهُ يَا لَهُ مِنْ نَحْرِ
فَكُنَّا بِحَمْدِ اللَّهِ مِنْ خَيْرِ أُمَّةٍ وَمِنْ خَيْرِهَا أَعْنَى ذَوِي السَّنَةِ الْغَرِّ
وَحِينَ جَعَلْتَ الْأَوَايَاهُ لَهَا هَدَى لَنَا اخْتَرْتَ حَبِيبَ الْمُصْطَفَى صَاحِبَ الْفَخْرِ
وَذَا قُطْبِكَ الْمَكْتُومِ عَنْ كُلِّ عَارِفٍ سَلِيلَ النَّبِيِّ الْهَاشِمِيِّ بَلَا نَكْرِ
أَعْنَى أَحْمَدَ التَّجَانِي حَلِيمًا وَرَحْمَةً شَفِيعَ عَصَاةِ اللَّهِ فِي الْحَشْرِ وَالنَّشْرِ (١)
هُوَ الْبَحْرُ وَالْأَقْطَابُ وَالْغَوَاثُ أَنْهَرُ وَلَا تَقْسُ الْبَحْرَ الْغَطْمُ طَمَّ بِالْأَنْهَرِ
غَدَا شَيْخُنَا يَرْقَى مِنَ النُّورِ مَنْبَرًا لِيُظْهِرَ مَا قَدْ كَانَ يَكْتُمُ مِنْ سِرِّ

«١» هَذَا الْبَيْتُ مَا هُوَ مِنْ نَظْمِ صَاحِبِ الْقَصِيدَةِ بَلْ هُوَ مِنْ نَظْمِ سَيِّدِي الْحَبِيبِ
ابْنِ سَيِّدِنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَمَا أَخْبَرَنِي بِذَلِكَ سَيِّدِي أَحْمَدُ الْعَبْدِ لَاوِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
وَذَكَرَنِي فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي أَلْحَقَهُ بِهَا تَبْرَكَ بِكَلَامِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَإِنْ كَانَ فِيهِ مِنْ جَهَةِ
الْعُرُوضِ شَيْءٌ وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ إِيَّاهُ الْمَوْلَفُ

ينادون أهل الحشر قوموا لتنظروا بمددكم ما منكم أحد يدرى
هناك ترى من كان ينكر نادما ويشكر ذو التسليم شكرا على شكر
لشيخى ضماناة أنت عن نبينا تدل على تشریف ربى لذا الحبر
ومن ذاك ما يعطى على يد جده جميع بنى شيخى من الفتح والسر
وفى ألف ألف كل فرد من الذى نما شافع والأمن فى ذى من الفقر
ومن ذاك ما يعطى لآخذ ورده إلى غير ذا مما يطول على شعرى
فيارب عطفه علينا تفضلا بذى الدار والآخرى وفى السر والجمهور
وعاف وسلم ياسلام وكن لنا ونج وأيدنا بعزك والنصر
ودمر وذلل يامذل عدونا وعاجله ياقهار بالذل والقهر
سألتك يا الله كي ماتمدنا بما نرتجى يا مالك اليسر والعسر
بجاءه نبى الله والشم آله ذوى الفضل والتقوى وأصحابه الزدر
أبى حفص الفاروق عثمان ذى الندى

على أبى السبطين بعد أبى بكر
على قبره أركى التحية والرضى وازكى صلاة ماحتنا إلى القبر
وما قال ذو ذنب ليغفر ذنبه لك الملك يا الله يامنزل الذكر
انتهى ، ولما تغلب العدو على الوطن أرسل إلى صاحب الترجمة يأمره بالقدوم
للجزائر ليدرس العلم بها وقصده بذلك فى باطن الأمر حبسه ، فحصل له جزع عظيم
وأجاب حاكم الجزائر بالامتناع ، ثم أرسل إليه يأمره باستقراره بمحلة لقراءة العلم
الشریف وتدرسه على عادته ونفذ له خراجا كبيرا فلم يقبل ذلك منه وحصل له
ضجر فارتحل فارا بنفسه إلى فجيج ولم يبق بعد ذلك إلا زمننا يسيرا وتوفى رحمه الله
مهاجرا فى سبيل الله .

الحاج بوغرارة

ومنهم الذاكر الناسك السالك فى طريق الحق أقوم المسالك العارف الواصل
والولى السكامل السيد الحاج بوغرارة أحد الخاصة من أصحاب سيدنا رضى الله عنه
كان رحمه الله من أركان الطريقة الشاربيين من حوض الشريعة والحقيقة ، وقد تلقى
عن سيدنا رضى الله عنه من أسرار الطريقة ما امتاز به على غيره . وكان يكاتب

سيدنا رضى الله عنه فى مهمات طريق الوصول إلى الله تعالى .

وقد طالب من سيدنا رضى الله عنه أن يبين له كيفية الخلوة وشروطها المعتبرة والمخلص من أزماتها الشاقة الحاصلة فيها فأجابه سيدنا رضى الله عنه برسالة مفيدة فى بابها يجب أن ترقم بسواد العيون على صفحات القلوب وتنطق فى طلبها نفائس النفوس حتى تظفر بها . وقد وقف عليها سيدى ومولاى العارف بربه أحمد العبد لاوى نفعنى الله به بخط سيدنا رضى الله عنه وكان يحفظها ولطول العهد بها نسي جل ألفاظها . وهاك ما أملاه علىّ منها حفظه الله :

أما ما ذكرت من طريق الخلوة فهى خمس أربعينيات تأكل فى الليلة الأولى ما اعتدته من الطعام ، وخذ قدره بالميزان ، ثم من تلك الليلة انتقص كل يوم مقدار درهمين ، واجعل ستة أوقات للذكر ، فى آخر النهار ، وبعد صلاة الصبح ، ووقت الضحى ، وقبل الظهر ، وبعد العصر ، وبعد المغرب ، ذكرا لا يشق على النفس من أى الأذكار كان . وحين تكمل الأربعين الأولى اخرج وأعط حق الزوجة من المرة إلى المراتين ، وكذلك بعد تمام كل أربعين . وفى هذه الأربعين تذهب عنك التعلقات الدنيوية . وفى الأربعين الثانية تظهر لك الخوارق . وفى الأربعين الثالثة تسمع قلبك يقول بلسان فصيح الله الله . وفى الرابعة ترى حين شروعت فى الذكر يخرج النور من فيك ، ويحوم على رأسك كالطائر ، وربما ترى الروحانيين/ العلويين والسفليين وفى الأربعين الخامسة تطلع لك ناصية التوحيد الفعلى أفعال الله السارية فى الوجود ، وترى العالم جامدا لا حركة له ويد القدرة تحركه عيانا لا اعتقادا ، حين تعثر على هذا المقام فأتنى بخلصك منه لأنك لا تطيقه بنفسك لما فيه من التلف والغطاء والسباسب . وإذا أراد الله بك المعرفة فأتنى لأنك لا تقدر على سلوك هذا إلا على يد شيخ كامل الخ .

وقد أتى إلى سيدنا رضى الله عنه وظفر منه بالكنز الذى لا ينفد والغنيمة التى فيها غنى الأبد .

واعلم أن هذه الطريقة التجانية ذات المواهب العرفانية كانت فى مبادئ الأمر على سنن الطرق القديمة فى السلوك والتربية ، يحتاج فيها إلى الخلوة احتياجا تاما ، فكان سيدنا رضى الله عنه سالكا فى ذلك على منهج القدماء حتى أذن له النبى ﷺ

في التربية المطلقة بالهمة النافذة والسر الباهر الذي لا يحتاج معه إلى تحمل مشقة ،
كرامة من الله له ، ولخصوصية طريقه المحمدية فصار بعد ذلك يربى كل من أتاه
للاخذ عنه بنظرة واحدة . ولقد أجاز صاحب اللامية في قوله :

بلا خلوة ربى وربوا بخلوة فشتان ما بين الزيدين منها
ولندكر هنا بعض خلوات سيدنا رضى الله عنه التي كان يدخلها بنفسه ويدخل
إليها أصحابه :

فمنها خلوته بأبي سمعون المعروف بدار السر ، سميت بذلك بأمر من النبي صلى الله
عليه وسلم ، حين كان هناك يبنى داره المباركة ، وبعين ماضى أيضا ، وقد وقفت
على كلام النبي صلى الله عليه وسلم للواسطة المعظم سيدي محمد بن العربي الدمراوى
رضى الله عنه في شأنها ليخبر به سيدنا رضى الله عنه ، وذكره أيضا صاحب الجامع
ونص المقصود منه :

وقل له إذا بنيت الدار فاجعل فيها بيتا وسمه بيت السر ، واجعل أورادك
وأذكارك وجميع ما أمرتك به فيه ولا يدخل أحد غيرك فيه ، تعرض عليك
الخيرات والبركات وتنال جميع المقاصد اهـ

وهذه الخلوة مقسومة بألواح من خشب وكان سيدنا رضى الله عنه يتعبد من
ناحية والواسطة المعظم رضى الله عنه من الناحية الأخرى .

وقد حدثني سيدي ومولاي أحمد العبد لاوى نفعى الله به أن الواسطة المعظم
رضى الله عنه بينما هو يذكر في الخلوة المذكورة إذ أتاه روحاني بكأس من شراب
حتى ضاء المحل الذي هو فيه من شدة أنواره ، وقال له اشربه ، فقال في نفسه إن
هذا الكأس لا أحب أن يشربه غير سيدنا الشيخ رضى الله عنه ، ثم نادى سيدنا
رضى الله عنه بقوله : يا أبى ، المرة بعد المرة ، ومسيدنا رضى الله عنه لا يجيبه لكوزه
مستغرقا في الذكر في ذلك الوقت ، ولما فرغ سيدنا رضى الله عنه أجابه فقال له
يا أبى إن الروحاني أتاني هذه الساعة بكأس لا يشربه وقد ناديتك لأدفعه إليك فلما
طال الوقت على الروحاني ذهب به لحال سبيله . فقال له سيدنا رضى الله عنه نرجو
الله أن يرد علينا .

ومنها خلوة الواسطة سيدي محمد بن العربي المذكور رضى الله عنه

وهي شجرة من الزرو قرب مصب واد شلف في البحر من عمالة مستغانم .

وقد بلغني على لسان الثقة أن صاحبها كان يقول للمجاورين لذلك المحل إذا لم تجدوا ذكرا لأشجار ثماركم التي تحتاج إلى التلقيح فخذوا من التراب المحاذي للخلق واجعلوه بدل الذكر فإنها تنتج لكم . فكانوا يستعملون ذلك فيجدون بركته .

وبلغني عنه أيضا أنه كتب إلى سيدنا رضى الله عنه يخبره من طريق المكاشفة أن من خاصية هذا المحل المذكور ، فيه أمان الأولياء من سباب بعضهم بهضا . فكان سيدنا رضى الله عنه إذا أراد أن يدخل أحدا للخلوة يبعثه إلى ذلك المحل في الغالب وفيه عدة خلوات .

منها خلوة صاحب المعارف الكبير سيدي محمود الترنسي رضى الله عنه استقر فيها أربعة عشر عاما عن إذن سيدنا رضى الله عنه وهي معروفة بذلك المحل مقصودة للتبرك بها ، وقد أخبرني من عاينها أنه لازال بها إلى الآن الجسد الذي كان يجلس عليه والخرقه التي ألبسه إياها سيدنا رضى الله عنه .

ومنها خلوة الفقيه العلامة الشريف الأصيل سيدي محمد بن المشري رضى الله عنه هناك أيضا . وقد بلغني أنه كتب إلى سيدنا رضى الله عنه يتشكى من ضيق نفسه وعدم قدرته على الإقامة بالخلوة في ذلك الوقت لفرط البرودة الحاصلة له وعدم موافقة المأكولات المشروطة لطبعه . ووقفت على رسالة تشير إلى شيء من هذا المعنى منقولة من خط سيدنا رضى الله عنه مباشرة ونص المقصود منها بعد البسملة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، بحمد الله يصل الكتاب إلى يد حبيبنا وصديقنا ورفيع المكانة من قلوبنا سيدي محمد بن المشري . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وعلى حبيبنا وصديقنا سيدي عبد القادر بن علال وعلى كافة أولاده وعلى كافة أحبائه وأحبائكم وعلى كافة الطلبة ، من كاتبه إليكم أحمد بن محمد التجاني وبعد ، ياسيدي محمد فقد بلغني كتابك وفهمت ما ذكرت فيه ، والذي أقول لك إن الأمور في يد الله وله بسطها وقبضها لا متصرف فيها غيره ، ومقتضى العبودية في هذه النازلة التي لم يأذن في قضائها التسليم لأمر الله والرضى بحكمه وحسن الظن به في كونه لم يقبضها بخلا وإنما علم أن لك فيها مفسدة فإن عنده علم كل شيء . وعسى أن تكرر هوا شيئا وهو خير لكم إلى آخر الآية . لكن ما أظن تخاف الإجابة إلا لعدم كمال الحضور

في الذكر لكن لا نخرج عليها ثانية وأرجع إلى الله بصدق التوجه لا أغرض بل
أطلب وجهه بما كنا أخبرناك به ولا كراه النفس على هذا فإنها تفر منه لكن إن لم
تيسر لك الخلوة أو كان يمكنك فيها برد فأدم التوجه خارج الخلوة وكل السخون مع
الإدام وأعمل الذكر أوقانا وللراحة أوقانا ، لكن بالجلوس وحدك وإذا دخلت
الخلوة فلا تأكل فيها إلا السخون بالإدام فإنه أمان لك من استيلاء البرد على نفسك
وعليك بدوام الذكر وقلة مخالطة الخلق ما استطعت والصمت ما استطعت وهذا
غاية ما يمكن في هذا الوقت أو أترك عنك التوجه إلى الخواص فإن الله جل جلاله لم
يأذن لك فيها الخ الرسالة .

وفيما ذكرناه من هذه الخلوات هنا كفاية ، وقد بسطنا الكلام على بعض
شروطها مع بعض الأسرار المطلوب فيها دخول الخلوة في كتابنا نيل الأمان في
الطب الروحاني والجماني المروي عن شيخنا التجاني وعن أصحابه ذوي القرب
والتداني رضي الله عنهم والله الموفق .

سيدي عبد القادر بن عبد المالك الإدريسي

ومهم البركة الفاضل والعارف الواصل الشريف الأصيل أبو عبد الله سيدي
عبد القادر بن عبد المالك الإدريسي من خط الجريد .

كان رحمه الله من أفاضل خاصة أصحاب سيدنا رضي الله عنه وهو من أكابر
المفتوح عليهم في هذه الطريقة المحمدية وهو أحد الأربعة الذين بنوا الموضع
المعروف بالعلية كما تقدمت الإشارة إليه .

وقد حدثني سيدي ومولاي أحمد العبد لاوي نفعتني الله به أنه من اليوم الذي
توفي فيه صاحب الترجمة ، ودفن بالمقبرة المجاورة للعلية لا زال يسمع من ناحيتها إيلا
قراءة الوظيفة الشريفة ، وقد شاع ذلك عند الخاص والعام بتلك الناحية
رحمه الله تعالى .

المقدم سيدي محمد بن حرز الله

ومهم المقدم في حلبة السبق لإحراز الفضائل والمسارع للخيرات بين السادة
الأفاضل أبو عبد الله سيدي محمد بن حرز الله من عمالة الجزائر .

كان رحمه الله من ذوي الهمم العالية والشيم الفاخرة عاصيا على حبل الطريقة